

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٣)	ذو القعدة ١٤٣٢ هـ
العدد العاشر	أكتوبر ٢٠١١ م

المشـرف العام

عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	صـوت الأمـــة بی ۱ / ۱۸ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التالیف والترجمة، ریوری تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الهـند (١٥٠) روبيــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١

المنشــور لا يعبــر إلا عــن رأي كاتبــه

محتــويــــات الـعـــدد

الافتتاحية

المملكة العربية السعودية ورعايتها للعلماء المسلمين في الداخل والخارج

(٨) أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

(ج) دعوتهم للتدريس في جامعات المملكة ومعاهدها:

أولت الدولة السعودية اهتماما بالغا بالتعليم منذ تأسيسها، ففتحت جامعات وكليات و مدارس و معاهد، و هيأت لها المدرسين، ووفرت لها الكتب، وشجع الدارسين، وقد قامت باختيار نخبة من علماء العالم – إلى جانب علمائها المواطنين – للتدريس في هذه المراكز ودفع عجلة التعليم إلى الأمام، وبارك الله في جهودها، فقفزت الدولة في مدة غير مديدة قفزات في هذا الميدان، وأحرزت نجاحا ملموسا، ولله الحمد.

وقد تشرف عدد غير قليل من علماء الهند باستلام دعوة المملكة للتدريس في جامعاتها و معاهدها، وقد استجاب عدد لا بأس به من هؤلاء العلماء للدعوة الموجهة إليه من دولة التوحيد. وعدد آخر اعتذر لظروفه الخاصة وإيثاره مصلحة مسلمي المنطقة على المصالح الأخرى. وفيما يلي أمثلة من القسمين:

من المستجيبين لدعوة التدريس:

¤ الشيخ أبو عبدالله محمد أعظم بن فضل دين الغوندلوي (م سنة ١٤٠٥هـ)

من كبار علماء أهل الحديث في الهند، أسند الحديث عن السيد نذير حسين الدهلوي بواسطة واحدة، وعن المحدث الشوكاني بواسطتين، درّس في عدة مدارس وجامعات إسلامية في الهند قبل الاستفلال وبعده، و خلف تلامذة كثيرين، وله تاليفات بعضها بالعربية وأكثرها بالأردية.

وقد وجه الشيخ ابن باز – نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- الشيخ عبدالقادر شيبة الحمد المدرس بالجامعة الإسلامية إلى دولة باكستان لاختيار مدرسين لتدريس الحديث وعلومه بالجامعة الإسلامية، و بعد استشارة ذوي الشأن في الأمر تقرر تقديم الدعوة إلى الشيخ الغوندلوي لهذا الغرض. لقيت هذه الدعوة القبول لدى الشيخ، وانخرط في سلك التدريس بالجامعة الإسلامية، وذلك في عامي ١٩٦٤-١٩٦٥م وقام الشيخ

الغوندلوي بتدريس صحيح البخاري في مدرسة دارالحديث المدنية [1] يوما واحدا في الأسبوع بعد صلاة المغرب، وذلك على طلب وإلحاح من بعض مدرسي الجامعة. [2]

¤ الشيخ عبد الغفار حسن ابن الشيخ عبد الستار الرحماني العمرفوري (م سنة ١٤٢٨هـ)

أحد العلماء المعروفين في الأوساط العلمية والدينية في الهند والباكستان، تلقى دعوة للتدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في عهد سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله، فلباها، وانخرط في سلك التدريس بالجامعة، واستمر لمدة ستة عشر عاما (من عام ١٩٦٤م إلى عام ١٩٨٠م) وكان له دروس في تلك الفترة في المسجد النبوي الشريف، وقد جاب أقطار العالم كمندوب للجامعة الإسلامية والمملكة العربية السعودية، يلقي محاضرات ودروسا، وكان عالما باللغات العربية والأردية والإنجليزية. [3]

¤ السيد أبو محمد بديع الدين شاه الراشدي السندي (م سنة ١٤١٧هـ)

أحد كبار علماء السنة، له بحوث ومؤلفات قيمة باللغات العربية والأردية والسندية، دعي للتدريس في دار الحديث المكية، قضى عدة سنوات في الدار، وكان يدرس فيها تفسير ابن كثير وصحيح البخاري، ثم عينه الشيخ عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى للتدريس في معهد الحرم المكي، فعمل هناك لسنتين، ثم انتقل إلى موطنه باكستان، ومن تلامذته: الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله السبيل، من أئمة المسجد الحرام، والشيخ على عامر اليمني، مدير دار الحديث المكية، والشيخ عبد القادر حبيب الله السندي من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، والشيخ حمدي عبد المجيد السلفي الباحث المحقق المعروف. [4]

وفهرس المستجيبين لدعوة التدريس في جامعات السعوديةومعاهدها يطول، ولايزال عدد غير قليل من علماء شبه القارة الهندية يقوم بالتدريس في تلك الجامعات

---

[1] ويفيد بعض المراجع أن هذا التدريس كان في المسجد النبوي الشريف، انظر: مجلة صراط مستقيم برمنجهام، عدد خاص بالشيخ ابن باز رحمه الله، أغسطس_سبتمبر ١٩٩٩، ص: ٢٣، ٢٥.

[2] انظر جريدة الاعتصام الأسبوعية، لاهور، عدد خاص بالشيخ الغوندلوي، ٣-١٠يناير ١٩٨٦م ص: ٦، ١٨، وانظر لترجمة الشيخ أيضا: جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة، ص٢٠١-٢٠٩، ومجلة الجامعة السلفية، بنارس. محرم ١٤٠٦هـ

[3] انظر: جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة. ص: ٢٥٩-٢٦٠، ومجلة نور توحيد، نيبال، مايو ٢٠٠٧م ص: ١٢-١٤، ويونيو ٢٠٠٧م ص: ٢٤-٢٥.

[4] انظر: جهود مخلصة....ص: ٢١٢-٢١٣ ومجلة صراط مستقيم، برمنجهام. يناير ١٩٩٧م ص: ٨-١١.

والمعاهد، ويتمتع بكافة التسهيلات الموفرة للمدرسين، ويلقى من التقدير والتكريم من قبل المسؤولين ما يستحق بل وفوق ما يستحق.

ومن المعتذرين عن قبول دعوة التدريس:

¤ الشيخ المحدث أبو العلى عبد الرحمن ابن الحافظ عبد الرحيم المباركفوري (م سنة ١٣٥٣هـ)

أحد كبار محدثي الهند، أسند الحديث عن السيد نذير حسين الدهلوي وعن المحدث حسين بن محسن اليماني، وقام بإنشاء مدارس إسلامية عديدة في مدن الهند، ودرس وأفاد، وخلف تلامذة مشاهير من أمثال الشيخ عبيد الله بن عبد السلام الرحماني، مؤلف مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. والدكتور تقي الدين الهلالي وغيرهم.

قام بتأليف عشرات الكتب باللغتين العربية والأردية، أهمها تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، وهو غني عن التعريف، وعليه مقدمة مبسوطة في مجلد ضخم يحتوي على كنوز ثمينة حول علم الحديث الشريف وكتبه وأهله.

وقد جاء في ترجمته في أحد ملحقات المقدمة المكتوب بيد الشيخ أبو الفضل عبدالسميع المباركفوري ما نصه:

"...ثم وصلت إليه الدعوة من ملك الحكومة السعودية (وسعها الله وأدامها) لتدريس علوم الحديث براتب يليق بجلالة شان الشيخ وجلالة ملك الحكومة السعودية، فلم يجب دعوته، وقال: يكفيني ما يحصل لي من الكفاف."[1]

وفيه أيضا في موضع آخر:

"لما التمس منه ملك الحكومة السعودية أن يدرس علوم الحديث في الحرم المكي لم يقبل دعوته واعتذر عن قبولها."[2]

ومن المعتذرين أيضا:

¤ الشيخ محمد إسماعيل بن محمد إبراهيم السلفي الغوجرانواله (م سنة ١٣٨٧هـ)

من مشاهير علماء شبه القارة الهندية المفلقين في علوم الكتاب والسنة، صاحب البحوث والمقالات والكتب القيمة في الدفاع عن السنة السنية والسلفية.

---

[1] مقدمة تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للشيخ عبدالرحمن المباركفوري: ٢/٢١١، وينظر لترجمة المباركفوري: تراجم علماء أهل حديث هند، للنوشهروي: ٤٠١-٤٠٧، وجهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة، ص: ١٤٦-١٥٠ ومقدمة تحفة الأحوذي: ٢/١٨٩-٢١٦.

[2] مقدمة تحفة الأحوذي: ٢/١٩٧.

لما توجه الشيخ عبد القادر شيبة الحمد مندوب الشيخ ابن باز إلى باكستان لاختيار مدرسي الحديث الشريف وعلومه للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة كان الشيخ محمد إسماعيل من أوائل المرشحين لهذا العمل، لكنه اعتذر عن مغادرة البلاد، ويقال إنه هو الذي رشح الشيخ أبو عبد الله محمد أعظم الغوندلوي مكانه. يقول الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد في ترجمته:

"...آثر هذه الخطابة والتدريس في الجامعة المحمدية (في باكستان) فيما بعد على التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة الطيبة، حين استدعى له من قبل العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (نائب رئيس الجامعة آنذاك) وأرسل إليها مكانه العلامة المحدث محمد الغوندلوي...".[1]

وهناك مظاهر وأشكال أخرى متنوعة لرعاية المملكة لعلماء الهند لا تسمح صفحات هذا البحث المحدودة بالتفصيل عنها، وشهرتها أيضا تغني عن الإطالة، فمن هذه الأشكال:

- منحهم عضوية الجامعات والمؤسسات الأخرى
- منحهم تابعيات سعودية، لهم ولعوائلهم.
- تكريمهم بالجوائز والأوسمة. مثل جائزة الملك فيصل العالمية. وجائزة كتابة البحوث في السيرة النبوية.
- دعوتهم في المؤتمرات والملتقيات والندوات
- دعوتهم لأداء مناسك الحج والعمرة
- إمدادهم بالكتب والمجلات والأشرطة

إلى غير ذلك من أنواع الرعاية التي يحظى بها علماء هذه المنطقة على وجه الخصوص كما يحظى بها علماء المسلمين في العالم على وجه العموم.

(يتبع)

***

[1] مجلة صوت الأمة، رجب ١٤٢٨هـ ص:١٣، وانظر أيضا الترجمته: جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة، ص:١٩٩-٢٠١.

رجال صدقوا: الفضيل بن عياض

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

قصة الفضيل وهدايته إلى الطريق الأقوم، بعد أن كان قاطع طريق، فتحول بهذا إلى أن كان من أعبد الناس وأزهدهم، ومن أكثرهم ورعا وحبا في التخلص من زخارف الدنيا، هذا التحول من العجائب والغرائب، ومن هداية الله له وفضله عليه. فقد كان الفضيل بن عياض التميمي، في أول أمره رجلا يخيف الناس، ويقطع الطريق، وينهب أموال عابري السبيل، ما بين "أبيورد" و "سرخس"، وكان هذا الطريق تحت تصرفه، فكل يخاف سطوته وجبروته.

يقول ابن عساكر في سبب توبته: كان الفضيل شاطرا، يقطع الطريق في مفازة، بين "أبيورد" و "مرو" فربما كان ينتمي إلى أبيورد، وقيل كان يقطع على أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها، سمع قارئا يتلو: {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق} (الحديد: ١٦) فقال: يا رب قد آن، فرجع فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها رفقة سابلة، فقال بعضهم لبعض: نرحل الليلة، وقال قوم: بل نبقى هنا حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا، ولما كان الله سبحانه قد أراد هدايته {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}، فقد تاب الفضيل وأمّنهم، وجاور الحرم حتى مات، وقيل إنه قال: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين ههنا يخافونني، وما أرى الذين ساقني إليهم، إلا لأرتدع، اللهم إنني قد تبت إليك وجعلت توبتي مجاورة بيتك. وقيل إنه خرج يوما ليفسح الطريق، فإذا هو بقافلة قد انتهت إليه ليلا، فقال بعضهم لبعض: اعدلوا بنا إلى هذه القرية، فإن أمامنا رجلا يقطع الطريق، يقال له: الفضيل، فسمع الفضيل فأُرْعِد، وقال: يا قوم أنا الفضيل جوزوا، والله لأجتهدن أن لا أعصي الله أبدا، فرجع وترك ما كان عليه.

ثم قال ابن عساكر: وقيل إنه خرج يريد مقطعة من الطريق، فإذا بقوم حمّاره معهم ملح، فسمع بعضهم يقول: مرّوا لا يفاجئنا فضيل، فيأخذ ما معنا، فسمع ذلك فضيل، فاغتم وتفكر

وقال: يخافني هذا الخلق الخوف العظيم، فتقدم إليهم، وسلم عليهم وقال لهم وهم لا يعرفونه: تكونون الليلة عندي، وأنتم آمنون من الفضيل، فاستبشروا وفرحوا وذهبوا معه، فأنزلهم يرتاد لهم علفا، فرجع إليهم فسمع قارئا يقرأ: {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق} (الحديد: ١٦)، فصاح الفضيل ومزق ثيابه على نفسه، وقال: بلى والله قد آن، فكان هذا مبتدأ توبته.

وقال عنه إبراهيم بن الأشعث: ما رأيت أحدا كان خوف الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله، أو ذكر عنده أو سمع القرآن، ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه وبكى حتى يرحمه من يحضره، وكان دائم الحزن شديد الفكرة، ما رأيت يريد الله بعلمه وعمله، وأخذه وعطائه، ومنعه وبذله، وبغضه وحبه، وخصاله كلها غيره، كنا إذا خرجنا معه في جنازة لا يزال يعظ ويذكّر ويبكي، كأنه مودع أصحابه، ذاهب إلى الآخرة، حتى يبلغ المقابر، فيجلس مكانه بين الموتى، من الحزن والبكاء، حتى يقوم وكأنه رجع من الآخرة، يخبر عنها.

وسمعه السريّ بن المفلّس يقول: من خاف الله لم يضره أحد، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد، وسمعه فيض بن إسحاق، وقد سأله عبد الله بن مالك قائلا: أخبرني: من أطاع الله، هل تضره معصية أحد؟ قال: لا، قال: فمن يعصي الله هل تنفعه طاعة أحد؟ قال: لا، قال: هو الخلاص إن أردت الخلاص، ويقول عبد الصمد بن يزيد بن مردويه: سمعت الفضيل يقول: لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق، وطلب الحلال، فقال ابنه علي: يا أبت إن الحلال عزيز، قال: يا بني إن قليله عند الله كثير.

طلب الفضيل العلم على كبر، فأبلغه الله منه ما يريد، وفقهه الله في الدين، فكان صحيح الحديث، صدوق اللسان، شديد الهيبة للحديث إذا حدث، وكان يثقل عليه الحديث جدا، وربما قال لمحدثه: لو أنك طلبت مني الدنانير، كان أيسر علي من أن تطلب مني الحديث، فقلت: لو حدثتني بأحاديث فوائد ليست عندي، كان أحب إلي من أن تهب لي عددها دنانير، قال: إنك مفتون، أما والله لو علمت لم تسمع، فقد سمعت سليمان بن مهران يقول: إذا كان بين يديك طعام تأكله، فتأخذ اللقمة، فترمي بها خلف ظهرك متى تشبع؟

أما حكايته مع هارون الرشيد، واطمئنان هارون لموعظته، فقد جاءت في عدة مصادر، وهذه رواية الذهبي، بسنده إلى الفضيل بن الربيع، قال: حج أمير المؤمنين – يعني هارون الرشيد– فقال لي: ويحك قد حك في نفسي شيء، فانظر لي رجلا أسأله، فقلت: ههنا سفيان بن عيينة، فقال: امض بنا إليه، فأتيناه فقرعت بابه ، فقال: من ذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعا، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلت إلي أتيتك، فقال: خذ لما جئتك له، فحدثه ساعة، ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم فقال لي: اقض دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى صاحبك شيئا، قلت: ههنا عبد الرزاق، قال: امض بنا إليه، فأتيناه فقرعت الباب فخرج، وحادثه ساعة، ثم قال: عليك دين؟ قال: نعم، قال: أبا عباس اقض دينه، فلما خرجنا قال: ما أغنى صاحبك شيئا، انظر لي رجلا أسأله؟ قلت: ههنا الفضيل بن عياض، قال: امض بنا إليه، فأتيناه فإذا قائم يصلي، يتلو آية يرددها فقال: اقرع الباب، فقرعت، فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، قال: ما لي ولأمير المؤمنين؟ قلت: سبحان الله، أما عليك طاعة؟ فنزل وفتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية، فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا، فسبقت كف هارون قبلي إليه، فقال: يا لها من كف، ما ألينها إن نجت إذا من عذاب الله، فقلت في نفسي: ليكلمنه قليلا بكلام تقي، من قلب تقي.

فقال له هارون: خذ لما جئناك له رحمك الله، فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا علي؟ فعد الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فقال له سالم: إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبيرا المسلمين عندك أبا، وأوسطهم أخا وأصغرهم ولدا، فوقر أباك وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك.

وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله فأحب المسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت، وإني أقول لك هذا، وإني أخاف عليك أشد الخوف، يوما تزل فيه الأقدام، فهل معك رحمك الله، من يشير عليك بمثل هذا، فبكى الرشيد بكاء شديدا، حتى غشي عليه، فقلت له: ارفق بأمير المؤمنين، فقال: يا ابن أم الربيع، تقتله أنت وأصحابك، وأرفق به أنا؟ ثم أفاق فقال: زدني رحمك الله، قلت: بلغني أن عاملا

لعمر بن عبد العزيز شكي إليه، فكتب إليه: يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء.

فلما قرأ الكتاب طوى البلاد، حتى قدم عليه ، فقال: ما أقدمك ؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، فبكى هارون بكاء شديدا، وقال: زدني، قال: يا حسن الوجه، أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل وإياك أن تصبح وتمسي، وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أصبح لهم غاشا، لم يرح رائحة الجنة"، فبكى هارون، وقال له: عليك دين؟ قال: نعم دين لربي، لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن ساءلني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي ان لم ألهم حجتي، قال: إنما أعني من دين العباد؟

قال: وعن ربي لم يأمرني بهذا، أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمره، فقال عز وجل: {وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون} فقال هارون: هذا ألف دينار، خذها فأنفقها على عيالك، وتقوّ بها على عبادة ربك، فقال: سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا، سلمك الله ووفقك، ثم صمت ولم يكلمنا.

فخرجنا فقال هارون: أبا عباس، إذا دللتني فدلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين، فدخلت عليه امرأته فقالت: قد ترى ما نحن فيه من الضيق، فلو قبلت هذا المال، قال: إنما مثلي ومثلك، كمثل قوم لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر، نحروه فأكلوا لحمه، فلما سمع هارون هذا الكلام، قال: ندخل فعسى أن يقبل المال، فلما علم الفضيل، خرج فجلس على السطح في باب الغرفة، فجاء هارون وجلس إلى جنبه، فجعل يكلمه، فلا يجيبه فبينما نحن كذلك، إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف فانصرفنا.

فرحم الله الفضيل بن عياض، قد ولد عام ١٠٥هـ، ومات في مكة عام ١٨٧هـ، وكان شيخا للحرم المكي في حياته.

***

الكسب الحلال: أهميته وآثاره

(٢-٢)

فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

من أنواع المعاملات المحرمة

الربا

عرفنا في الفصل السابق أهمية الكسب الحلال في جميع المعاملات، وبيننا أن المكاسب المحرمة توقع الإنسان في الإثم وعدم إجابة الدعاء وعدم التوفيق، لذا كان واجبا على المسلم العاقل التقي أن يبتعد كل البعد عن المعاملات المحرمة والمشتبهة.

ومن المعاملات المحرمة التي جاء القرآن والسنة بحرمتها معاملة الربا، وقد نزلت فيه آيات كثيرة تنص على تحريمه.

فمن الآيات المكية: قوله تعالى في سورة الروم: (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله) [الروم: ٣٩].

ومعنى ذلك أن المرابين إنما يجعلون الأموال في ذمة المدين، فيربو ذلك المال في ذمة المدين، ويربو في أموال الناس، لكنه لا يزكو ولا يكثر ولا ينمو عند الله، بل مآله إلى المحق، ومآله إلى الفشل، ومآله إلى الاضمحلال!!

ومن الآيات المدنية: قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) [آل عمران: ١٣٠].

ومعنى ذلك أنه إذا كان لإنسان دين عند آخر، فجاء إليه، وقال له: أعطني ديني، فإذا لم يجد مالا. قال: أؤخر عليك الدين عاما على أن أزيد فيه، فيزيد في الأجل، ويزيد في المال! فتتضاعف الأموال أضعافا مضاعفة، فإذا استوفاها بعد ذلك فقد أكل الربا أضعافا مضاعفة، وهذا هو المقصود بالربا الجاهلي الذي لا شك في حرمته.

وقد كان اليهود يتعاملون بالربا، وقد عابهم الله بذلك في قوله تعالى: (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) [النساء: ١٦١]. أي أن الله تعالى قد نهاهم عن أخذ الربا في كتبهم فلم ينتهوا!! فالذين يأكلون الربا من هذه الأمة يكونون سلفا لليهود والجاهليين الذين نزلت فيهم هذه الآيات.

وقد نزلت هذه الآيات في مكة وفي المدينة على فترات، مما يدل على أن الله تعالى نهى المؤمنين عن أكل الربا في كل مناسبة، ومع ذلك بقيت معاملات ربوية بين الناس، وقد نهى الشرع عنها!

وفي آخر حياة النبي ﷺ كان من آخر ما نزل عليه الآيات التي في سورة البقرة، التي هي تحريم صريح للربا، فقال تعالى: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) [البقرة: ٢٧٥]

فمثل لهم الله بهذا المثال القبيح، وهو أنهم إذا بعثوا يوم القيامة فكأن أحدهم مجنون، كالذي يتخبطه الشيطان من المس وهو الذي يصرعه شيطان الجن، فيقوم أحدهم من القبر أو يبعث وهو يصرع، وكلما قام انصرع وسقط، فلا يقومون من قبورهم إلا كما يقوم المصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس، وقيل: إنهم يعرفون يوم القيامة بضخامة بطونهم، فتصرعهم تلك البطون، ويسقطون من أجل ما أكلوه، وتلك عقوبة عاجلة قبل الآجلة: (ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا) [البقرة: ٢٧٥]. أي جمعوا بين الأمرين، جمعوا بين استحلال الحرام وأكله! ولا شك أن ذلك الاستحلال كفر! فمن استحل الحرام ولو لم يأكله فإنه كافر!!

لأن فِعلَ المعصية يعتبر ذنبا وخطيئة، ولكن أكبر من ذلك وأعظم استحلالها بالفتوى وإعلان جوازها وأنها حلال، ولا إثم فيها!!

فالذين قالوا: (إنما البيع مثل الربا) أي لا فرق بين الربا والبيع، فهذا كسب، وهذا كسب، هؤلاء قد أحلوا ما حرم الله، أي أنهم شرعوا مع الله، فهو تصرف مع الله في الكون!! ولا شك أن ذلك كفر.

وعيد شديد

لقد عذر الله الذين أكلوا الربا فيما سبق، وقال إذا انتهوا وتابوا فلهم ما قد قبضوه، ولهم ما قد أكلوه، وأما في المستقبل فإن عليهم أن يتوبوا، فإن لم يتب أحدهم فليستعد للعذاب! ومن عاد فأولئك مآواهم النار والعياذ بالله، قال تعالى: (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) [البقرة: ٢٧٥]. وهذه عقوبة كبيرة نسأل الله السلامة والعافية.

ولأجل هذا الوعيد الشديد فقد عدّ النبي ﷺ الربا من السبع الموبقات، فقال ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله! ماهن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات".[١]

---

[١] أخرجه البخاري برقم (٢٧٦٦)، ومسلم برقم (٨٩).

فهذه هي السبع الموبقات، التي هي من كبائر الذنوب، فجعلها موبقات أي مهلكات، توقع في الهلاك والتردي. وقال تعالى: (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) [البقرة:٢٧٦]. والمحق هو قلة البركة، فإن أصحاب الأموال الربوية، ولو ربت أموالهم، وكثرت أرباحهم، ولو ملكوا أموالا وتجارات كثيرة، ولو كثر خيرهم ورزقهم ومالهم، فإن قلوبهم ليست غنية، بل لا يزالون يلهثون، ويطلبون المال! فكأن قلوبهم فقيرة وذلك من محق البركة: (يمحق الله الربا). أي يقلل بركته وقيمته في قلوب أهله! وقد يكون المحق حسيا، بمعنى أن الربا يصير ماحقا وماحيا للكسب، فيقع صاحبه في الخسران المبين، وكساد التجارة، والبوار!! وما ذاك إلا عقوبة عاجلة!!

لذا كان الواجب على آكل الربا أن يخاف من هذا الوعيد الذي هو: محق البركة، ومحق الرزق.

أما الصدقات فإنه سبحانه وتعالى يربيها ويضاعفها، قال الله تعالى: (يمحق الله الربا ويربي الصدقات). ومعنى يربيها: يضاعفها لأهلها، كما في قوله تعالى: (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) [الروم: ٣٩]. ثم قال تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين) [البقرة: ٢٧٧، ٢٧٨]

فأمرهم الله تعالى في هذه الآيات أولا بالتقوى، بعد أن ناداهم بالإيمان، أمرهم بتقوى الله، التي هي الخوف منه، وتوقي عذابه، ومن أسباب ذلك الخوف من فعل المحرمات، فإن الذي يفعل المحرمات لا يأمن العذاب، فعليه أن يتقي الله، وعليه مع التقوى أن يذر ما بقي من الربا، فيترك الأموال التي بها ربا، الباقية في ذمم الناس ففي قوله تعالى: (ذروا ما بقي). أي اتركوا ما بقي من الربا (إن كنتم مؤمنين) أي: إن كنتم صادقين، في أنكم قد آمنتم، وصدقتم، وابتعدتم عن ما حرم الله! (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) [البقرة: ٢٧٩].

روي أنه يقال للمرابي يوم القيامة: قم حارب الله ورسوله! وماذا يفعل ذلك الضعيف؟! فقد ذكر الله تعالى عن المنافقين: إنهم يخادعون الله وهو خادعهم!

فكذلك الذين يحاربون الله ورسوله، إنهم مغلوبون في أية جهة، والله تعالى هو الغالب!

ثم قال تعالى: (وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) [البقرة: ٢٧٩]. ومعنى ذلك إنك إذا تبت فلك من الآن أن تقتصر على رأس مالك، ولا تأخذ الزيادات —التي هي الربا— ولا تظلم ولا تُظلم، فاقتصر على رأس مالك، (وإن كان ذو عسرة) أي ذلك المدين الذي

في ذمته هذا المال إن كان ذا عسرة (فنظرة إلى ميسرة). فإن كان معسرا فاصبر عليه وأمهله حتى يجعل الله بعد عسر يسرا (فنظرة إلى ميسرة). أي انظره إلى أن يأتيه اليسر والثروة!

فمثل هذه الآيات في صراحتها يجب أن يتأملها المسلم وقد أيدتها أيضا الأحاديث الصريحة.

أنواع الربا

١- ربا الجاهلية:

ثبت أن النبي ﷺ قال: "لعن الله آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه"[1] فلعنهم لتعاونهم على هذا الإثم.

*فآكله هو الذي يستجلبه من ذمم الناس ويأكله!

*وموكله هو الذي اعترف به وأعطاه للآكل وأخرجه من ماله.

*أما الكاتب والشاهدان فلكونهما حفظاه وأقراه وهما يعلمان أنه ربا صريح!! فجعلهم كلهم سواء في هذا الإثم، وإن كانوا متعاونين في العقوبة، لكن سوى بينهم في استحقاق هذا الوعيد الذي هو اللعن والعياذ بالله.

فإذا عرف المؤمن أنه متوعد بهذا الوعيد، فعليه الحذر والبعد عن هذا الكسب الخبيث.

وقد وردت آثار كثيرة تدل على شدة إثمه، حتى روي في بعض الأحاديث: "درهم واحد من ربا أشد وأعظم عند الله من ستة وثلاثون زنية"[2] وإن كان هذا الحديث لم يبلغ درجة الصحة، لكنه من جملة الأحاديث التي فيها وعيد شديد، والتي يرويها العلماء، ويحذرون بها من هذه الأشياء التي توقع في الحرام، أو تقرب منه.

والربا الذي ذكره الله تعالى هو ربى الجاهلية، وهو زيادة أصل المال الذي في ذمة المدين كلما مر عليه الوقت، فالألف مع مرور الأيام تصير ألفين، وسنة أخرى تصبح ثلاثة، وهكذا حتى يصبح أضعافا مضاعفة، وهذا هو الربا الذي كانوا يتعاملون به في الجاهلية، ثم جاء الشرع بتحريم أنواع أخرى من الربا.

٢- ربا الفضل:

نهى الرسول ﷺ عن بعض العاملات التي تدخل في الربا، فقال ﷺ: "الذهب بالذهب، الفضة بالفضة.... مثلا بمثل، يدا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه

[1] أخرجه أبو داود برقم (٣٣٣٣)، والترمذي برقم (١٢٠٦)، وابن ماجه برقم (٢٢٧٧)، ورواه مسلم برقم (١٥٩٨) عن جابر رضي الله عنه بمعناه.

[2] أخرجه الإمام أحمد والطبراني كما في الكنز (٩٧٦١)، وسنده صحيح.

سواء"[١]. وفي رواية: "مثلا بمثل، سواءبسواء، يدابيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم، إذا كان يدابيد"[٢]. وقال مثل ذلك في البر، والشعير، والتمر، والملح، جعلها كلها ربا[٣]، وألحق بها العلماء كل ما يشاكلها ويشابهها من المكيلات والموزونات، ونحوها!

فقالوا: من باع هذه التي تكال، فلا يبيعها إلا بمثلها دون مضاعفة لئلا يكون داخلا في الربا!

٣– قلب الدين:

بعض الأثرياء إذا كان له دين على فقير ألح عليه، وقال: أعطني أعطني! فيضطر ذلك الفقير أن يستدين منه أو من غيره مرة ثانية! وينقلب الدين عليه، فيتضاعف الدين، فيأتي إليه ويقول له: في ذمتي لك – مائة ألف مثلا – لا أقدر على سدادها فبعني سلعة قيمتها حالة مائة ألف، أبيعها عليك أو على غيرك بكذا وكذا! فيضطره أن يشتري منه سلعة تساوي مائة ألف، بمائة وعشرين ألفا ثم يبيعها بنقد ويعطيه قيمتها، فيتضاعف من مائة إلى مائة وعشرين!

وهكذا يتضاعف الدين سنة بعد سنة!! وهذا مخالف لقول الله تعالى: (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة) [البقرة: ٢٨٠]. فالواجب إنظار المعسر.

البنوك الربوية

وإن مما وقع فيه أهل هذا الزمان كثرة تعاملهم مع البنوك الربوية! وهذه البنوك – لا شك – أنها تتعامل بالربا، ورباها صريح!! حيث أنك إذا أتيتها تقترض – مثلا – ألف ريال اشترطوا عليك أن ترد هذه الألف وترد معها مبلغا إضافيا حسب المدة التي تسدد بعدها! وهذا ربا صريح!

ومن هذا أيضا أرباح الأموال التي تودع في البنوك، فإنها أيضا ربا! وهو أن تعطي البنك مالا كأمانة، وهم بلا شك يقرضونه لآخر، ويربحون منه ربا، فإذا ردوه عليك، قالوا: هذا ربح ربحناه في تجارتنا وبضاعتنا، ومن جملتها مالك وأمانتك، فيوقعونك فيما وقعوا فيه من أكل الربا!

نقول: إن هذا من جملة ما يوقع في الربا، فعلى المسلم أن يتجنب هذه الأشياء.

وقد يضطر الإنسان – بلا شك – إلى الإيداع في كثير من البنوك، لسبب من الأسباب كسفر، أو خشية سرقة النقود، أو اختلاسها، فيودعها أحد البنوك الربوية، فإذا أودعها للحفظ ونحوه فإنه لا يأخذ عليها فائدة ربوية، وهي التي يسمونها بغير اسمها، بل يقتصر على أخذ ماله، ويبقى ذلك المال الزائد لهم. وقد أجاز بعض العلماء أخذ هذه الفوائد الربوية من البنوك ولكن لا يأكلها صاحبها، حتى لا يأكل الربا، وإنما يصرفها في وجوه البر، ووجوه الخير!

---

[١] أخرجه مسلم برقم (١٥٨٤) – ٨٢. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
[٢] أخرجه مسلم برقم (١٥٨٧) – ٨١. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.
[٣] أنظر الحديث السابق.

ولعل هذا قول وجيه بالنسبة للبنوك الكبيرة، وبالنسبة للأموال الطائلة، حيث أن هناك من قد يكون عنده مال كثير ولا يستطيع أن يحفظه في بيته، فيودعه أحد البنوك التي تتعامل بالربا، وقد تكون الفائدة على هذه المبالغ الكبيرة أرباحا كثيرة، فإذا تركه لهم —وهم كفار، أو عصاة أو نحو ذلك فقد يتعاونون به على إضعاف الإسلام، وتقوية الكفر والشرك ونحو ذلك!!

فمن المصلحة أو يؤخذ هذا المال الذي ربحوه عندهم ويصرف في وجوه البر ومصارف الخير، كأن يعطى للمساكين والمستضعفين، ونحو ذلك.

هكذا أفتى بعض المشايخ، واستدلوا على ذلك أن العلماء يصرفون الأموال المحرمة في وجوه البر والخير!

فإذا عُثر على بيت فحش وزنى، وفيه أموال، فإن تلك الأموال محرمة —لأنها قد اكتسبت من الزنا وغير ذلك— فإذا عثرنا على تلك الأموال، فماذا نفعل بها؟ هل نردها على الزاني؟ لا، وذلك لأن الزاني قد استوفى منفعته، فلا نجمع له بين منفعته، وبين ماله، لا يعطى العوض والمعوض. وكذلك لا نتركها للزانية، لكونها دخلت عليها من كسب حرام، ولكن نصرفها في وجوه الخير، فتصرف للمساكين، وتصرف في سبيل الله، وما أشبه ذلك.

ولكن لا شك أن الأولى بالمسلم هو البعد عن البنوك الربوية، والإيداع فيها، والتعامل معها، فهناك بنوك إسلامية، معاملاتها سليمة، بعيدة عن الشبهات، وهي تعمل كمضاربة، فتعمل في رؤوس أموالها عمل المضارب الذي هو بيع سلع وشراؤها، وكذلك أعمال مصرفية حرة، ليست فيها شبهة، ثم أن كل مساهم يعطى سهما من الربح على العموم وعلى حد سواء، فمثل هذا لا شبهة فيه ويقوم مقام تلك البنوك الربوية ونحوها.

وكذلك للإنسان أن يعدل عن التعامل مع البنوك الربوية بأغراض أخرى منها:

* استعمال المدخرات الخاصة به بنفسه، كأن يتاجر بها أو يعطيها من يتجر بها من الباعة ونحوهم وهو ما يسمى بالمضاربة. وهو بذلك يستغني عن إيداع أمواله في تلك البنوك الربوية.

* وللمسلم كذلك أن يساهم بأمواله في شركات إسلامية بعيدة عن الشبهات.

* وله أيضا أن يشترك مع غيره في مشروعات كالمقاولات بتجميع بعض رؤوس الأموال لعدد من الأشخاص ونحو ذلك حتى لا يبقى ماله مدخرا بدون فائدة.

نسأل الله أن يجنبنا المكاسب المحرمة، وأن يحفظنا عن الحرام أيا كان، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

***

التشريع الإسلامي

مكانة السنة في ضوء القرآن الكريم

الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد /الكويت

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن غاية إرسال الرسل: طاعتهم فيما يأمرون وينهون، وليست هذه الطاعة بطلب منهم، بل بأمر الله تعالى، حيث قال: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ....). (النساء: ٦٤)

فيها إثبات عصمة الرسل، لأن الله تعالى أمر بطاعتهم مطلقا، فمن آمن بالرسول ولا يقتدي به، فقد جهل غاية الرسالة.

وإذا كان الأمر كذلك، فنبينا صلى الله عليه وسلم أولى بهذه الطاعة من غيره من الأنبياء، لأنه خاتم النبيين، وكذلك له من التزكية من الله ما ليس لغيره، قال تعالى: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) [النجم: ٣-٤].

وقد دل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال سبحانه: (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ....) [النساء: ١١٣].

فما الحكمة بعد الكتاب إلا السنة!

وعلى هذا، لا ينبغي للمسلم أن يدعو إلى الاستغناء بالقرآن عن السنة، لأن القرآن بنفسه يعطي السنة الشرعية المطلقة، قال تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) [الحشر: ٧].

"هذا يدل على أن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به، واتباعه ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول صلى الله عليه وسلم على حكم الشئ كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه".

إن السنة كالقرآن في إثبات الأحكام التي انفردت بها، روى الإمام أبو داود في سننه بإسناد صحيح عن المقداد بن معدي كرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله ...".

هذا الحديث من أعلام النبوة، بأنه صلى الله عليه وسلم قد أخبر فيه على وجه الاستنكار عمن يأتي ويقول بالاكتفاء بالقرآن، والحديث أصل في هذا الباب ويستفاد منه ما يلي:

-السنة وحي أوتيه النبي صلى الله عليه وسلم مع القرآن.

-إنكار النبي صلى الله عليه وسلم عن الشبعان الذي يقول بالاكتفاء بالقرآن، ويرفض السنة.

-ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث أمورا انفردت السنة ببيان أحكامها.

وإليكم بعض الآيات من القرآن التي تنص على أهمية السنة:

*قد نفى الله عز وجل الإيمان—مقسما بنفسه الكريمة—عمن لا يحكّم النبي صلى الله عليه وسلم في القضايا المختلف فيها، فقال سبحانه: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما). [النساء: ٦٥]

هذا الحكم يشمل أمور الدين والدنيا على السواء، ومن تركه غير ملزم له فهو كفر، ومن تركه مع التزامه، فله حكم أمثاله من العاصين.

*قال الله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا). [الأحزاب: ٣٦]

دلت هذه الآية على الأمور التالية:

-من شروط الإيمان أن يتخلى الإنسان عن خياره الشخصي إزاء أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

-ولا يليق من اتصف بالإيمان إلا الإسراع في امتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

-وإن أصر أحد على مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه موعد بالضلال المبين.

قال عز من قائل: "لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم". (النور: ٦٣)

يتلخّص مفهوم الآية في النقاط الآتية:

-تجب إجابة الرسول وجوبا، ولا يجب على الأمة قبول قول أحد والعمل به إلا الرسول لعصمته، وكوننا مخاطبين باتباعه، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون) [الأنفال: ٢٤]

-ولا يجوز صرف النظر عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالأعذار والحيل، فإن ذلك من دأب المنافقين.

-مخالفة أوامر النبي صلى الله عليه وسلم تؤدي إلى فتنة في الدنيا، وعذاب أليم في الآخرة.

*قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين). [آل عمران: ٣١-٣٢] هذه الآية هي الميزان، التي يعرف بها من أحب الله حقيقة، ومن ادّعى ذلك دعوى مجردة.

فعلامة محبة الله اتباع محمد صلى الله عليه وسلم... فلا تُنال محبة الله ورضوانه وثوابه إلا بتصديق ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة، وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما.

فمن فعل ذلك... غفر له ذنوبه وستر عليه عيوبه، فكأنه قيل: ومع ذلك: فما حقيقة اتباع الرسول وصفتها؟

فأجاب بقوله (قل أطيعوا الله والرسول) بامتثال الأمر واجتناب النهي، وتصديق الخبر (فإن تولوا) عن ذلك، فهذا هو الكفر، والله (لا يحب الكافرين). (تفسير السعدي)

ملخص القول:

-إن اتباع السنة سبب بقاء أصالة الإسلام، ولتعكيرها روّج أهل الأهواء من منكري السنة القول بالاكتفاء بالقرآن، ليبعدوا السذّج من المسلمين عن الاستفادة المباشرة من أحد المصدرين الأساسيين للإسلام.

-إن القول بالاستغناء بالقرآن عن السنة: يرمي إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مثل ساعي البريد، الذي تقتصر وظيفته على إيصال الرسالة إلى صاحبها فقط، وفيه إهانة للنبي صلى الله عليه وسلم أيما إهانة (نعوذ بالله منها)، وهو خلاف ما أراد الله عز وجل من النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) [النحل: ٤٤] هذا شامل لتبيين ألفاظه، وتبيين معانيه وهو الحديث والسنة.

-إن اتباع السنة ليس على التخيير، بل هو من لوازم الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، والنبي لا يؤمن بشخصه فحسب، بل يؤمن بما أنزل عليه من كتاب وحكمة.

فحذار حذار -أخي المسلم- من الاستخفاف بأمر السنة، وتهوين العمل بالحديث، فإنه يؤدي إلى الضلال المبين بنص القرآن، قال تعالى: (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا). [الأحزاب: ٣٦]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

***

الحفظ

أهميته، عجائبه، طريقته، أسبابه

(٤)

عبد القيوم بن محمد بن ناصر السحيباني

الفصل الثالث: طريقة الحفظ:

أعلم — وفقني الله وإياك — أن من أراد أن يحفظ حفظا متقنا يبقى معه دهرا طويلا، فإنه ينبغي له أن يسلك هذه الطريقة — الآتي ذكرها — وليس هناك طريقة غيرها — فيما أعلم — لمن أراد الحفظ الجيد، أما من يحفظ حفظا موقتا لغرض ما، فليس هذا الحديث له.

ثم اعلم — رعاك الله — أن هذه الطريقة مستفادة من أقوال السلف وتطبيقاتهم، أولئك الأعلام الذين سبق ذكر طرف من عجائبهم في الحفظ قوة، وكثرة، لتعلم أن ذلك الحفظ القوي، من هذه الطريقة، فمن أراد درجتهم في قوة الضبط، فليسلك سبيلهم في طريقة الحفظ.

وقبل ذكر هذه الطريقة ينبغي التنبيه إلى أن هذا الأمر يحتاج إلى صبر وجلد، وطول نفس، فلا يستعجل النتائج، ولا يمل لطول الوقت، بل يصبر ويعلم أنه على خير عظيم، لأن هذا الوقت الطويل الذي يقضيه في طلب العلم لا يذهب هدرا بل يؤجر عليه إذا صلحت النية.

وبعد — أيها الموفق — فإنه لابد في الحفظ من أمرين:

الأمر الأول: تقليل الكمية المراد حفظها.

الأمر الثاني: التكرار.

الأمر الأول: تقليل الكمية المراد حفظها:

ينبغي لمن أراد حفظ نص ما أن يقسم هذا النص على الأيام، بحيث يحفظ كل يوم جزءا معينا، ويكون هذا الجزء قليلا، ولا يكثر على نفسه فتمل أو تكل، فقد قيل: من رام العلم جملة ذهب عنه جملة. وقيل ازدحام العلم مضلة الفهم.

وثبت في الحديث عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل". متفق عليه.[١]

قال الخطيب البغدادي: وينبغي له أن يتثبت في الأخذ ولا يكثر، بل يأخذ قليلا قليلا حسب ما يحتمله حفظه، ويقرب من فهمه فإن الله تعالى يقول: {وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا}. (الفرقان:٣٢).[٢]

وقال: اعلم أن القلب جارحة من الجوارح تحتمل أشياء، وتعجز عن أشياء، كالجسم الذي يحتمل بعض الناس أن يحمل مائتي رطل، ومنه من يعجز عن عشرين رطلا.

وكذلك منهم من يمشي فراسخ في يوم ولا يعجزه، ومنهم من يمشي بعض ميل فيضر ذلك به.

ومنهم من يأكل الطعام أرطالا، ومنهم من يتخمه الرطل فما دونه.

فكذلك القلب: من الناس من يحفظ عشر ورقات في ساعة، ومنهم من لا يحفظ نصف صفحة في أيام، فإذا ذهب الذي مقدار حفظه نصف صفحة يروم أن يحفظ عشر ورقات تشبها بغيره لحقه الملل، وأدركه الضجر، ونسي ما حفظ، ولم ينتفع بما سمع.

فليقتصر كل امرئ من نفسه على مقدار يبقى فيه ما لا يستفرغ كل نشاطه، فإن ذلك أعون له على التعليم من الذهن الجيد والمعلم الحاذق.[٣]

قال الزرنوجي: قال مشايخنا – رحمهم الله -: ينبغي أن يكون قدر السبق للمبتدي قدر ما يمكن ضبطه بالإعادة مرتين بالرفق، فقد قيل السبق حرف، والتكرار ألف.[٤]

قال يونس بن يزيد: قال لي ابن شهاب: يا يونس لا تكابر العلم فإن العلم أودية، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي.[٥]

---

[١] صحيح البخاري ح٥٨٦١، وصحيح مسلم ح٧٨٢.
[٢] الفقيه والمتفقه (١٠١/٢).
[٣] الفقيه والمتفقه (١٠٧/٢).
[٤] تعليم المتعلم طريق التعلم ص٣٢–٣٣، ط. مكتبة القاهرة.
[٥] جامع بيان العلم وفضله ص١٦٨.

وقال يونس: سمعت الزهري يقول: إن هذا العلم إن أخذته بالمكاثرة غلبك، ولم تظفر منه بشيء، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذا رفيقا تظفر به.[١]

قال الخليل بن أحمد: اجعل تعليمك دراسة لك، واجعل مناظرة العلم تنبيها بما ليس عندك، وأكثر من العلم لتعلم، وأقلل منه لتحفظ.[٢]

قال ابن الصلاح: وليكن تحفظه للحديث على التدريج قليلا قليلا مع الأيام والليالي فذلك أحرى بأن يمتَّع بمحفوظه. وممن ورد ذلك عنه من حفاظ الحديث المتقدمين: شعبة، وابن علية، ومعمر.[٣]

أمثلة من تطبيقات أهل العلم لهذا الأمر:

هذه بعض الأمثلة من الحياة العلمية لسلف الأمة، تظهر لك كيف كانوا يحرصون على التزام هذا الأمر في أنفسهم ومع طلابهم، حرصا على الإتقان.

١—عن ميمون أن ابن عمر —رضي الله عنهما— تعلم سورة البقرة في أربع سنين[٤]. وقيل: إنه مكث على سورة البقرة ثمان سنين يتعلمها.[٥]

٢—قال أبو عبد الرحمن السلمي: كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها.[٦]

٣—قال أبو العالية: تعلموا القرآن خمس آيات فإنه أحفظ لكم، فإن جبريل عليه السلام كان ينزل به خمس آيات خمس آيات.[٧]

٤—قال سفيان الثوري: كنت آتي الأعمش ومنصورا فأسمع أربعة أحاديث أو خمسة، ثم أنصرف كراهية أن تكثر وتفلت.[٨]

---

[١] حلية الأولياء (٤/٣٦٤).
[٢] جامع بيان العلم ص ٢٠٦.
[٣] علوم الحديث ص ٢٢٧.
[٤] الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/١٢٣).
[٥] الجامع لأحكام القرآن (١/٤٠).
[٦] الجامع لأحكام القرآن (١/٣٩).
[٧] حلية الأولياء (٢/٢١٩).
[٨] فتح المغيث (٣/٣١٦).

٥—قال أبو بكر بن عياش: قرأت القرآن على عاصم بن أبي النجود فكان يأمرني أن أقرأ كل يوم آية لا أزيد عليها، ويقول: إن هذا أثبت لك. فلم آمن أن يموت الشيخ قبل أن أفرغ من القرآن فما زلت أطلب إليه حتى أذن لي في خمس آيات كل يوم.[١]

فهذا عاصم يلزم أبا بكر بهذه الطريقة، ويأمره بتقليل القدر المحفوظ، ليصل إلى درجته في الإتقان، كما وصفه عاصم بقوله: مرضت سنتين، فلما قمت قرأت القرآن فما أخطأت حرفا.[٢]

انظر إلى هذا الضبط العجيب، بعد سنتين لا يستذكر حفظ القرآن فيهما لمرضه، يقرأه فلا يخطئ في حرف.

ولقد أنتجت هذه الطريقة ثمارها، فها هو أبو بكر يقول: فلقد فارقت عاصما، وما أسقط من القرآن حرفا.[٣]

٦—جاء أبو حنيفة إلى حماد بن أبي سليمان فقال له: ما جاء بك؟ قال: أطلب الفقه. قال: تعلم كل يوم ثلاث مسائل، ولا تزد عليها شيئا، حتى يتفق لك شيء من العلم، فتعلم، ولزم الحلقة حتى فقه، فكان الناس يشيرون إليه بالأصابع.[٤]

٧—قال شعبة: كنت آتي قتادة فأسأله عن حديثين فيحدثني، ثم يقول: أزيدك؟ فأقول: لا حتى أحفظهما وأتقنهما.[٥]

نعم إنه يريد أن يصل إلى درجة قتادة في الإتقان، عن معمر قال قتادة لسعيد بن المسيب، يا أبا النضر خذ المصحف فامسك عليّ، فقرأ عليه سورة البقرة، فما أسقط منها واوا ولا ألفا ولا حرفا. فقال: يا أبا النضر أحكمت؟ قال: نعم. قال: لأنا لصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ مني لسورة البقرة.[٦]

---

[١] طبقات الحنابلة (٤٢/١).
[٢] سير أعلام النبلاء (٢٥٨/٥).
[٣] سير أعلام النبلاء (٥٠٣/٨).
[٤] الفقيه والمتفقه (١٠١/٢).
[٥] السير ٧/٢٢٥—٢٢٦).
[٦] الحلية (٣٣٤/٢)، سير أعلام النبلاء (٢٧٢/٥).

٧–ذكر بعض طلبة العلم عن أحدهم أنه كان يحفظ في كل يوم نصف بيت من الألفية فبقي في حفظ الألفية ثمان سنوات.

الأمر الثاني: التكرار:

إذا عمل مريد الحفظ بالأمر الأول وهو تقليل المادة المحفوظة يوميا، فينبغي له كذلك أن يكرر هذا النص مرات كثيرة جدا، فإن الحفظ لا يثبت إلا بالتكرار، فمن أراد أن يبقى حفظه مدة طويلة فليكثر من إعادته وتكراره.

قال ابن الجوزي: الطريق في إحكام المحفوظ كثرة الإعادة، والناس يتفاوتون في ذلك: فمنهم من يثبت معه المحفوظ مع قلة التكرار، ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار الكثير، فينبغي للإنسان أن يعيد بعد الحفظ ليثبت معه المحفوظ.[1]

وقال: قد كان خلق كثير من سلفنا يحفظون الكثير من الأمر، فآلى الأمر إلى أقوام يفرون من الإعادة ميلا إلى الكسل، فإذا احتاج أحدهم إلى محفوظ لم يقدر عليه.

ولقد تأملت على المتفقهة أنهم يعيدون الدرس مرتين أو ثلاثا، فإذا مر على أحدهم يومان نسي ذلك، وإذا افتقر إلى شيء من تلك المسألة في المناظرة لم يقدر على ذلك، فذهب زمان الأول ضائعا، ويحتاج أن يبتدئ الحفظ لما تعب فيه أولا، والسبب أنه لم يحكمه.[2]

قال الزرنوجي: وينبغي لطالب العلم أن يعد ويقدر لنفسه تقديرا في التكرار فإنه لا يستقر في قلبه حتى يبلغ ذلك المبلغ. وينبغي لطالب العلم أن يكرر سبق الأمس خمس مرات، وسبق اليوم الذي قبل الأمس أربع مرات، والسبق الذي قبله ثلاث مرات، والذي قبله اثنين، والذي قبله مرة واحدة. فهذا أدعى إلى الحفظ.[3]

عقد الخطيب في كتابه (الجامع) فصلا فقال: تكرير المحفوظ على القلب.

ثم ذكر فيه قول علقمة: أطيلوا كر الحديث لا يدرس.

وقول سفيان: اجعلوا الحديث حديث أنفسكم، وفكر قلوبكم تحفظوه.[4]

قال الحسن بن أبي بكر النيسابوري: لا يحصل الحفظ حتى يعاد خمسين مرة.[5]

---

[1] الحث على حفظ العلم ص٢١.
[2] الحث على حفظ العلم ص١٢.
[3] تعليم المتعلم طريق التعلم ص٤١، ط. مكتبة القاهرة.
[4] الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٣٦).
[5] الحث على حفظ العلم ص٢١.

وقال: إن فقيها أعاد الدرس في بيته مرارا كثيرة، فقالت: عجوز –في بيته -: قد والله حفظته أنا! فقال: أعيديه. فأعادته. فلما كان بعد أيام، قال: يا عجوز، أعيدي ذلك الدرس. فقالت: ما أحفظه. قال: أنا أكرر الحفظ لئلا يصيبني ما أصابك.[1]

قال ابن جبرين: الغالب أن من حفظ سريعا بدون تكرار فإنه ينسى سريعا، ولقد كان الكثير من الطلاب قديما يكرسون جهودهم في الحفظ، حتى كان أحدهم يقرأ الحديث أو الباب مائة مرة، حتى يرسخ في ذاكرته، ثم بعد ذلك يكررون ما حفظوه.[2]

أمثلة تطبيق هذا الأمر عند أهل العلم:

١–قال ابن مفلح: روي عن الزهري أنه كان يرجع إلى منزله وقد سمع حديثا كثيرا، فيعيده على جارية له من أوله إلى آخره كما سمعه، ويقول لها: إنما أردت حفظه. وكان غيره يعيده على صبيان المكتب ليحفظه.[3]

٢–قال أبو الوليد: قال لي حماد بن زيد: إذا خالفني شعبة في حديث صرت إلى قوله. قلت: كيف يا أبا إسماعيل؟ قال: إن شعبة كان لا يرضى أن يسمع الحديث عشرين مرة، وأنا أرضى أن أسمعه مرة.[4]

٣–قال عباس الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: لو لم نكتب الحديث خمسين مرة، ما عرفناه.[5] وقال مجاهد بن موسى: كان يحيى بن معين يكتب الحديث نيفا وخمسين مرة.[6]

٤–قال أبو إسحاق الشيرازي: كنت أعيد كل قياس ألف مرة، فإذا فرغت منه أخذت قياسا آخر، وهكذا. وكنت أعيد كل درس ألف مرة، فإذا كان في المسألة بيت يستشهد به، حفظت القصيدة.[7]

---

[1] الحث على حفظ العلم ص٢١.
[2] كيف تطلب العلم؟ حوار مع فضيلة الشيخ العلامة د. عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين. إعداد: عيسى بن سعد آل عوشن. ص٣١.
[3] الآداب الشرعية (١٣٠/٢).
[4] السير (٢٠٩/٧).
[5] السير (٨٤/١١).
[6] السير (٩٢/١١).
[7] طبقات الشافعية (٢١٨/٤).

وأثمر هذا التكرار ثمرته فقد قيل: إن أبا إسحاق كان يحفظ مسائل الخلاف كما يحفظ أحدكم الفاتحة.[١]

٥- سُئل بكر بن محمد البخاري عن مسألة، فقال: هذه المسألة أعدتها في برج من حصن بخارى أربع مائة مرة. وكان إذا طلب المتفقه منه الدرس ألقى عليه من أي موضع شاء من غير مطالعة كتاب.[٢]

٦- إسماعيل بن محمد بن إسماعيل يقال أقرأ المقنع مائة مرة.[٣]

ومن أمثلة المعاصرين:

٧- سمعت الشيخ عبد الرحمن الفريان يقول: كنت أيام الطلب في الصغر أكرر الدرس من القرآن ثمانين مرة. فقال لي الشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله -: كرر مائة مرة فقلت هذا كثير.

٨- حدثني بعض الشناقطة في المسجد النبوي: أنهم إذا أرادوا حفظ درس كرروه مائة مرة.

أيها الموفق! لقد كان أهل العلم يلزمون أنفسهم بالتكرار، ويحتالون عليها لإذهاب الملل عنها، ومن أمثلة ذلك:

قال الكيا الهراسي: كانت في مدرسة سرهنک بنيسابور قناة لها سبعون درجة، وكنت إذا حفظت الدرس أنزل القناة وأعيد الدرس في كل درجة مرة في الصعود والنزول.

قال: وكذا كنت أفعل في كل درس حفظته.[٤]

وفي بعض الكتب أنه - الكيا - كان يكرر الدرس على كل مرقاة من مراقي درج المدرسة النظامية بنيسابور سبع مرات، وأن المراقي كانت سبعين مرقاة[٥]. أي: يكرر الدرس (٤٩٠) مرة.

---

[١] طبقات الشافعية (٤/٢٣٢).
[٢] الحث على حفظ العلم ص٣٦، السير (١٩/٤١٦).
[٣] ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٠٩).
[٤] طبقات الشافعية (٧/٢٣٢).
[٥] طبقات الشافعية (٧/٢٣٢).

وحدثني علي بن عبد الرحمن السحيباني أنه قابل في (موريتانيا) بعض الشناقطة ممن حفظه متقن، فسأله عن طريقته في المراجعة فقال: أكرره على الجهات ثمانين مرة، يتجه نحو الشرق فيقرأ ثمانين مرة، ثم يتجه نحو الغرب فيقرأ ثمانين مرة، وكذا باقي الجهات.

فانظر كيف يحتالون في إذهاب الملل عن النفس، وإلزامها بالعدد المطلوب تكراره، فهذا يقرأ الدرس على كل درجة، وذاك يكرره على كل جهة، من أجل إبعاد الملل والسآمة، لأنه لو جلس في بيته وأراد أن يكرر هذا العدد لمل وسام، وربما لم يكمل كل هذا العدد.

تنبيهات:

أولا: يجب على من أراد الحفظ أن يصحح ما يقرؤه قبل حفظه تصحيحا متقنا، ولا يحفظ شيئا قبل تصحيحه، لأنه يقع في التحريف والتصحيف.[١]

ثانيا: ينبغي للدارس أن يرفع صوته في درسه حتى يسمع نفسه، فإن ما سمعته الأذن رسخ في القلب، ولهذا كان الإنسان أوعى لما يسمعه منه لما يقرأه.

قال الزبير بن بكار: دخل علي أبي وأنا أُرَوِّي في دفتر ولا أجهر، أروي فيما بيني وبين نفسي.

فقال لي: إنما لك من روايتك هذه ما أدى بصرك إلى قلبك، فإذا أردت الرواية فانظر إليها واجهر بها، فإنه يكون لك ما أدى بصرك إلى قلبك، وما أدى سمعك إلى قلبك.[٢]

قال العسكري: حكي لي عن أبي حامد: أنه كان يقول لأصحابه: إذا درستم فارفعوا أصواتكم، فإنه أثبت للحفظ وأذهب للنوم. وكان يقول: القراءة الخفية للفهم، والرفيعة للحفظ والفهم.[٣]

قال الزرنوجي: وينبغي ألا يعتاد المخافته في التكرار، لأن الدرس والتكرار ينبغي أن يكونا بقوة ونشاط، ولا يجهر جهرا يجهد نفسه كيلا ينقطع عن التكرار، فخير الأمور أوسطها.[٤]

(يتبع)

***

[١] انظر: تذكرة السامع والمتكلم ص ١٢١—١٢٢.

[٢] الجامع للخطيب (٢/٣٦٦).

[٣] الحث على طلب العلم ص ٧٢.

[٤] تعليم المتعلم طريق التعلم ص ٤١، ط. مكتبة القاهرة.

علوم الحديث

عناية المحدِّثين النُّقّاد

بمعرفة تفرُّد الرُّواة

عبد الصَّبور بن أبي بكر
المدينة النبويّة

الحمد لله الخبير اللطيف، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد صاحب الشرع المُنيف، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهج الدين الحَنيف،،، أما بعد:

فهذا بحث مختصر يشتمل على إبراز جانب مهم من جهود المحدثين في نقْد الحديث الشريف، وبيان الصحيح منه والضعيف، ضمن أبواب كتب، أو في المستقبل من التأليف، وسميته "عناية المحدِّثين النُّقّاد بمعرفة تفرُّد الرُّواة" رجاء أن يستفيد منه القارئ الحصيف.

أهميّة الموضوع: تكمن أهميّة هذا الموضوع في ضرورة الباحثين إلى معرفته عند دراسة الحديث النبوي، وتعليله والحكم عليه، وقد قال أبو عمرو بن الصلاح: "ويستعان على إدراكها - أي: العلة - بتفرُّد الرّاوي".

سبب اختيار الموضوع: والذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع هو:

ما يُلحظ على بعض المحقّقين من صرف النظر عن جهود النُّقّاد في بيان التفرُّد عند الحكم على الحديث أو نقد المرويّات مع وثيق صلته بعلل الأحاديث التي لا ينهض بالكلام عليها إلا العلماء الراسخون.

هدَفُ البحث:

١- إبراز جهود المُحدِّثين في خدمة السنّة النّبويّة وحفظِها من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وإرساؤُها في أذْهانِ المشتغلين بتحقيق كُتُب الأئمّة، وتخريجِ أحاديثها في هذا العصر، في نهضَة حديثيّة، والتي غابت عن أذهان الكثير منهم.

٢- توعية الباحثين المعاصرين بضرورة احترام النُّقّاد في تعليلهم للحديث بالتفرد، وتسليم الأمر لهم دون توقف ولا تعقيب.

الدراسات السابقة: تعدَّدت الدّراسات حولَ موضوع التّفرّد، وتعريفه، وحكمه، وبيان أنواعه، إلا أنّني لم أجد مَنْ ركّز على إبراز جهود المحدثين فيه، أو خصَّه بالكتابة على أهمِّيته، ومن أهمِّ الدِّراسات السّابقة ما يأتي:

- **كتب المصطلح عامّة:** حيث أفرد مصنِّفوها أبوابا مستقِلّة لقضية التّفرّد، أو ذكروا مسائله ضمن أبوابٍ لها صلةٌ قويّةٌ بالتفرد كالشّاذ والمنكر.
- "**كتاب التّفرد في رواية الحديث ومنهج المحدِّثين في قبوله أو ردِّه**" لعبد الجواد حمام، وهو أوسع كتابٍ أُلِّف في هذا الفنّ، وهو بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير في جامعة سورية، مطبوع من دار النوادر.
- "**الشاذ والمنكر وزيادة الثقة**" للدكتور عبدالقادر المحمدي، وهو بحث مقدم لدرجة الدكتوراه في جامعة بغداد، مطبوع من دار الكتب العلمية.

المبحث الأوّل: في تعريف الفرد، وحكم الحديث الفرد، وطرق معرفته

تعريف الفرد لغةً واصطلاحًا

الفرد لغة:

الفَرْد: ما كان وحدَه[١]، وهو الوتر، والجمع أفراد[٢]، وفَرِدَ بالأَمْر - مثلّثَةَ الراء- وأفْرَدَ وانْفَرَدَ واسْتَفْرَدَ: تفَرّدَ به[٣]. قال ابن الفارس: "الفاء والراء والدال أصلٌ صحِيحٌ يدلّ على وُحدة."[٤].

الفرد اصطلاحا:

قال أبو حفص الميانجيّ (ت٥٨١هـ): "الفرد: ما انفرد بروايته بعض الثِّقات عن شيخه، دونَ سائر الرُّوَاة عن ذلك الشيخ"[٥].

وهذا التعريف فيه اقتصار على انفراد الثقة عن شيخه، ولم يشمل انفراد الضعيف.

---

[١] انظر: كتاب العين (٢٤/٨ "فرد").
[٢] انظر: الصحاح (٥١٨/٢ "فرد").
[٣] انظر: القاموس المحيط (٣٣٤/١ "فرد" باب الدال، فصل الفاء).
[٤] معجم مقاييس اللغة (٥٠٠/٤ "فرد").
[٥] نقله الزركشي في النكت على مقدمة ابن الصلاح (١٩٨/٢).

وقال الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ): "الغريب: وهو ما يتفرَّد بروايته شخص واحد في أيّ موضعٍ وقع التفرُّد به من السّند"[١]. وهو ما يقول فيه النُّقاد: "تفرّد به فلان" أو "لا نعلمه يُروى عن فلان إلّا من حديث فلان"، أو "حديثٌ غريبٌ"، أو "هذا حديثٌ لا يُعرف إلا من هذا الوجه"، أو "لم يروه عن فلان إلا فلان" أو نحو ذلك. وهذا التعريف أعم وأشمل.

والفرد والغريب مترادفان لغةً واصطلاحًا[٢].

والحديثُ الفرد له أنواع وتفريعات، ومسائل وأحكام ليست موضوع بحثي، وقد تكلم عنها علماء المصطلح في كتبهم، وهناك كتب أخرى خُصِّصت لبيان التفرُّد ومسائله كما تقدمت الإشارة إلى بعضها في المقدمة عند ذكر الدراسات السابقة.

وقصدي في هذا البحث إبراز عناية المحدِّثين وجهودهم في بيان التفرُّد، وقد ذكرت بعض أساسيات هذا النوع؛ لتقريب المسألة وتصوُّرها، وبيانِ عِظَم شأنها.

حكم الحديثِ الفرد، وبيان صُعوبة الجزم بتفرُّد الراوي

مِن العلماء مَن يردّ التفرُّد مطلقًا سواءً كان المتفرد ثقةً أو ضعيفًا.

قال أبو داود (٢٧٥هـ): "لا يُحتجّ بحديثٍ غريبٍ ولو كان من رواية مالك ويحيى بن سعيد والثِّقات من أئمّة العلم"[٣].

ومنهم مَن يقبله إذا كان الرّاوي المتفرِّد ثقةً، ويرده إذا كان ضعيفًا.

قال مُغْلطاي (ت٧٦٢هـ): "تفرُّد الراوي بالرّواية عن شخص ليستْ مؤثِّرة في الصِّحة وعدَمِها، وإنَّما يأتي ذلك بالنّظر إلى حالة الرّاوي، إن كان ثقةً صحَّ حديثُه، وإلّا فلا"[٤].

والذي عليه المحقِّقون من أهل العلم: هو أنّ الفرْدَ لا يُحْكَم له بحكمٍ كلّي مطردٍ سواءً كان المتفرِّد ثقةً أو ضعيفًا؛ بل هو خاضع إلى استيفائه شروطَ الصِّحة أو الحُسْن أو عدم استيفائها، فينقسم إلى صحيحٍ وحَسَنٍ وضعيفٍ[٥]، ولكن الغالب عليه عدَم الصِّحة.

---

[١] نزهة النظر (ص٧٠).
[٢] نزهة النظر (ص٨١).
[٣] رسالة أبي داود إلى أهل مكة (ص٧٢).
[٤] شرح سنن ابن ماجه (٣/١٠٠).
[٥] انظر: منهج النقد في علوم الحديث (ص٤٠١).

قال عبدالرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ): "واعْلم أنّ الغرائبَ وإن انقسمتْ إلى الصِّحيح والحَسَن والضَّعيف لكنَّ الغالبَ عليها عدَمُ الصِّحة"[١].

وقد أوْضحَ حكمَه ابنُ الصَّلاح (ت٦٤٣هـ) بقوله: "إذا انفرَد الرَّاويُ بشيءٍ نُظِر فيه، فإنْ كان ما انفرد به مخالِفًا لما رواه مَنْ هو أولى منه بالحِفْظ لذلك وأضبط كان ما انفرد به شاذًّا مردودًا، وإن لم يكن فيه مخالَفَة لما رواه غيره، وإنما هو أمرٌ رواه هو ولم يروِه غيرُه، فيُنظَر في هذا الرّاوي المنفرِد فإنْ كان عدلاً حافظًا موثوقًا بإتقانه وضبطه قُبِل ما انفرد به ولم يقدَح الانفراد فيه كما فيما سبق من الأمثلة، وإنْ لم يكنْ ممّن يُوثَّق بحفظه وإتقانه لذلك الذي انفرد به، كان انفراده به خارمًا له، مزحزحًا له عن حيّز الصَّحيح، ثُمّ هو بعد ذلك دائرٌ بين مراتب متفاوتة بحسَب الحال فيه، فإنْ كان المنفرِد به غيرَ بعيدٍ من درجة الضّابط المقبول تفرُّده استحسنّا حديثَه ذلك، ولم نحطّه إلى قبيل الحديث الضّعيف، وإنْ كان بعيدًا من ذلك رددنا ما انفرد به، وكان من قبيل الشّاذ المنْكر"[٢].

بيان صُعوبة الجزم بتفرُّد الراوي

الجزْم بالتفرُّد أو الغرابة يُعَدُّ من أصعَب الأمور؛ لأنّه يَتضمَّن دعوى الاطّلاع على جميع طُرُق الحديث واستيعاب ذلك، فلا يتمَكّن من الحُكم به إلا مَن رزقه الله اطلاعًا واسعًا، وفهمًا ثاقبًا، وبراعةً في صَناعة الحديث.

قال محمّد بنُ طاهر المقْدسيّ (ت٥٠٧هـ): "وأمّا الغريبُ والأفراد فلا يُمْكِن الكلامُ عليها لكلِّ أحدٍ من النّاس إلا مَن بَرِع في صنعة الحديث"[٣].

وقال أبو عبدالله الزّركشيّ (ت٧٩٤هـ): "يَحتاج لاتساع الباع في الحفظ، وكثيرًا ما يَدَّعي الحافظ التفرُّدَ بحسَب علمِه، ويطلّع غيرُه على المتابع"[٤].

وقال الحافظ ابنُ حجر (ت٨٥٢هـ): "وهو على هذا أدقّ من المعلّل بكثيرٍ، فلا يتمكّن من الحُكْم به إلا مَنْ مارس الفنَّ غايةَ الممارسة، وكان في الذّروة من الفهم الثاقب، ورُسوخ القدَمِ في الصّناعة، ورزَقه اللهُ نهايةَ المَلَكة"[٥].

---

[١] اليواقيت والدرر (١٧٤/١).
[٢] مقدمة علوم الحديث (ص٢٤٣).
[٣] مقدمة أطراف الغرائب والأفراد (ص١٧).
[٤] النكت على مقدمة ابن الصلاح (١٩٨/٢).
[٥] نقله الصنعاني في توضيح الأفكار (٣٤١/١).

وقال جلال الدين السّيوطيّ (ت٩١١هـ): "وينبغي التوقُّفُ عن الحُكم بالفرديّة والغَرابة؛ لاحتمالِ طريقٍ آخرَ لم يقفْ عليه"[1].

تنبيه: حكم النُّقّاد على حديثٍ "أنّه فرد"، أو "تفرّد به فلان" يقع عليه تعقّباتٌ كثيرةٌ، ولكنَّ المتعقِّب عليهم لابُدّ له من الاطلاع على مناهجهم وإطلاقاتهم، وأخذِ الحِيطة والحذَر وعدَم الاستعجال في الإيراد عليهم.

قال الحافظ ابنُ حجر (٨٥٢هـ) - وهو يذكر مظانَّ الأحاديث الأفراد-: "ويقع عليهم التعقُّب فيه كثيرًا بحسَب اتساع الباع وضيقِه أو الاستحضارِ وعدَمِه، وأعْجَبُ مِن ذلك: أنْ يكون المتابِع عند ذلك الحافظ نفسِه، فقد تتبّع العلاّمة مُغلطاي على الطّبْرانيّ ذلك في جزءٍ مفرَد. وإنّما يُحسِن الجزْم بالإيراد عليهم حيثُ لا يختلفُ السِّياقُ أو حيثُ يكون المتابِع ممن يُعتبَر به؛ لاحتمالِ أن يريدوا شيئًا بإطلاقهم، والذي يَرِدُ على الطّبْرانيّ ثم الدَّارَقُطْنيّ من ذلك أقوى مما يَرِدُ على البزّار؛ لأنّ البزّار حيثُ يحكُمُ بالتفرُّد إنّما ينفي علمَه، فيقول: "لانعلمه يُروى عن فلانٍ إلا من حديثِ فلانٍ"، وأمّا غيرُه فيُعبِّر بقوله: "لم يروه عن فلانٍ إلا فلانٌ"، وهو وإن كان يلحق بعبارة البزّار على تأويلٍ، فالظّاهرُ من الإطلاق خلافُه. والله أعلم"[2] انتهى.

طُرُق معرفة تفرُّد الرّاوي

يكشف عن تفرُّد الراوي بأمور، منها:

أوّلاً: جمع الطُّرق والمقارنة بينها، وهو ما يسمِّيه علماء المصطلح بـ"الاعتبار".

والاعتبار هو: "أنْ يأتي إلى حديثٍ لبعض الرُّواة، فيعتبره بروايات غيرِه من الرُّواة بسبرِ طُرُقِ الحديث؛ ليُعرف هل شارَكه في ذلك الحديثِ راوٍ غيرُه، فرواه عن شيخِه أو لا؟ فإنْ لم يكُنْ، فيُنْظر هلْ تابَع أحدٌ شيخَ شيخِه، فرواه عمّن روى عنه؟ وكذا إلى آخر الإسناد وذلك المتابعة، فإنْ لم يكنْ، فيُنْظر هل أتى بمعناه حديثٌ آخر؟ وهو الشّاهد، فإنْ لم يكنْ فالحديثُ فرْدٌ"[3].

قال عليّ بن المديني (ت٢٣٤هـ): "البابُ إذا لم تُجمَع طُرُقُه لم يَتبيّن خطؤُه"[4].

---

[1] البحر الذي زخر (٢/٨٧٦).
[2] النكت على كتاب ابن الصلاح (٢/١٨٤-١٨٥).
[3] تدريب الراوي (١/٢٨١-٢٨٢).
[4] الجامع لأخلاق الراوي (ص٣٧٠ رقم١٦٥٢)

وقال الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ): "قَلَّ مَنْ يَتَمَهَّرُ في علْم الحديثِ، ويَقِفُ على غوامِضِه، ويسْتَثِيرُ الخفيَّ من فوائِده؛ إلا مَنْ جمَعَ مُتَفَرِّقَه، وألَّفَ مُشَتَّتَه، وضَمَّ بعْضَه إلى بعْضٍ، واشتَغَلَ بتَصْنيفِ أبوابِه، وترتيبِ أصنافِه"(١).

ثانيًا: تنصيصُ الأئمّة النُّقّاد على تفرُّد الرّاوي كقول الحافظ الدَّارَقُطْنِيّ (ت٣٨٥هـ) في حديثِ عُمر رضي الله عنه (من تواضع لله رفعه): تفرّد به الثّوريّ، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عابس بن ربيعة، عن عمر. وتفرّد به سعيد بن سلام، عن الثّوريّ(٢). وقولُ الطّبَرانيّ (ت٣٦٠هـ) في حديثِ (إنّ أهلَ الجنّة إذا جامعوا نساءَهم عادوا أبكارًا): "لم يروه عن عاصم إلا شريك، تفرّد به معلى بن عبدالرّحمن الواسطيّ"(٣). وقول البزّار (ت٢٩٢هـ) في حديث (تُقطَع اليد في رُبع دينار): "وهذا الحديث لا نعلمه يُروى عن سعد، عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم إلا مِن هذا الوجه، ولا نَعلَم رواه عن عامر إلا أبو واقد"(٤).

ثالثًا: من خلال الرّجوع إلى الكُتب الخاصّة بالأفراد والغرائب كالأفراد للدَّارَقُطْنِيّ، وغرائب مالك له، وغيرهما من الكُتب.

(يتبع)

***

(١) الجامع لأخلاق الراوي (ص٤١٥).

(٢) الأفراد كما في أطراف الغرائب لابن طاهر المقدسي (٦٣/١ رقم١٦٦).

(٣) المعجم الصغير (١٦٠/١ رقم٢٤٩).

(٤) مسند البزّار (٣٣٦/٣ رقم١١٢٨).

آداب إسلامية

آداب صلاة الليل

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد: هذه كلمة موجزة في آداب صلاة الليل، أريد أن أقدمها بين يدي القارئ الكريم ليعرف آداب وسنن صلاة الليل جيدا، ليأخذ بها ويعمل بموجبها، فأقول وبالله التوفيق والعصمة.

وضع الإسلام آدابا وسننا تتعلق بصلاة الليل أذكر من أهمها فيما يلي:

١- يسن لمن يريد قيام الليل أن يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة عملا بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة، يوتر منها بواحدة، فإذا فرغ منها اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن فيصلي ركعتين خفيفتين.[١]

وعنها قالت: "ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة".[٢]

٢- إن السنة أن الاضطجاع بعد صلاة الليل وقبل ركعتي الفجر، كما دل عليه حديث عائشة.*

٣- إن السنة أن تجعل آخر صلاة الليل وترا لحديث عائشة قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل حتى يكون آخر صلاته الوتر".[٣]

٤- يستحب جعل الوتر آخر الليل سواء كان للإنسان تهجد أم لا، إذا وثق بالاستيقاظ آخر الليل إما بنفسه وإما بإيقاظ غيره، لحديث عائشة قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل فإذا أوتر قال: قومي فأوتري يا عائشة".[٤]

[١] رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل الخ.
[٢] رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل الخ.
* هناك أحاديث صحيحة صريحة تفيد بمشروعية الاضطجاع بعد ركعتي الفجر أيضا. (المجلة)
[٣] رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل الخ.
[٤] رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل الخ.

ولا بأس بالإيتار في جميع أوقات الليل بعد دخول وقته، لحديث عائشة قالت: "من كل الليل قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أول الليل وأوسطه وآخره، فانتهى وتره السحر".[١]

قال النووي: "فيه جواز الإيتار في جميع أوقات الليل بعد دخول وقته، واختلفوا في أول وقته، فالصحيح في مذهبنا، والمشهور عن الشافعي والأصحاب أنه يدخل وقته بالفراغ من صلاة العشاء ويمتد إلى طلوع الفجر الثاني، وفي وجه يدخل بدخول وقت العشاء، وفي وجه لا يصح الإيتار بركعة إلا بعد نفل بعد العشاء، وفي قول: يمتد إلى صلاة الصبح، وقيل: إلى طلوع الشمس.[٢]

٥ – يستحب أن يستاك القائم عند القيام من النوم لحديث زرارة بن أوفى جاء في حديثه: قال: قلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: "كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ"[٣] الحديث.

٦ – يستحب المحافظة على الأوراد، وإذا فاتت تقضى لحديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة.[٤]

٧ – يسلم من كل ركعتين من صلاة الليل لما روي عن سالم عن أبيه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن صلاة الليل فقال: مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة.[٥]

قال النووي: هكذا هو في صحيح البخاري ومسلم، وروى أبو داود والترمذي بالإسناد الصحيح "صلاة الليل والنهار مثنى مثنى"، هذا الحديث محمول على بيان الأفضل، وهو أن يسلم من كل ركعتين، وسواء نوافل الليل والنهار، يستحب أن يسلم من كل ركعتين فلو جمع ركعات بتسليمة أو تطوع بركعة واحدة جاز عندنا.[٦]

---

[١] رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل الخ.
[٢] شرح صحيح مسلم ١/٢٥٥ طبع الهند.
[٣] رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل الخ.
[٤] رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل الخ.
[٥] رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل الخ.
[٦] شرح صحيح مسلم ١/٢٥٧، طبع الهند.

٨– لا بأس بالإيتار بركعة لحديث ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الوتر ركعة من آخر الليل".[١]

٩– يستحب أن يقوم ثلث الليل الأخير ويدعو الله جل وعلا ويستغفره ويتوب إليه، ويسأله من خير الدين والدنيا لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له".[٢]

١٠– ويستحب لقائم الليل أن يقرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران عند القيام من النوم، لحديث ابن عباس أنه بات ليلة عند ميمونة أم المؤمنين وهي خالته قال: فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران.[٣] الحديث.

١١– يستحب لقائم الليل أن يقول الدعاء التالي، لما روي عن ابن عباس قال: بتُّ ليلة عند خالتي ميمونة فقام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل فأتى حاجته ثم غسل وجهه ويديه ثم نام ثم قام، فأتى القربة فأطلق شناقها ثم توضأ وضوءا بين الوضوئين، ولم يكثر، وقد أبلغ ثم قام فصلى فقمت فتمطيت كراهية أن يرى أني كنت أنتبه له، فتوضأت فقام فصلى فقمت عن يساره، فأخذ بيدي، فأدارني عن يمينه، فتتامت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل ثلاث عشرة ركعة، ثم اضطجع فنام حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ فأتاه بلال فآذنه بالصلاة فقام فصلى ولم يتوضأ، وكان في دعائه "اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا، وفي سمعي نورا، وعن يميني نورا، وعن يساري نورا، وفوقي نورا، وتحتي نورا، وأمامي ورا، وخلفي نورا، وعظّم لي نورا".[٤]

وقد وردت أذكار كثيرة في قيام الليل، يجدر لقائم الليل أن يقولها عند قيامه من النوم، من ذلک ما يلي:

---

[١] رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل الخ.
[٢] رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل الخ.
[٣] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه بالليل.
[٤] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه بالليل.

أ – اللهم لک الحمد أنت نور السماوات والأرض ولک الحمد أنت قيّام السماوات والأرض، ولک الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق ووعدک الحق وقولک الحق، ولقاؤک حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لک أسلمت وبک آمنت وعليک توکلت، وإليک أنبت، وبک خاصمت ، وإليک حاکمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وأسررت وأعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت".[1]

ب – وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشرکين، إن صلاتي ونسکي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريک له وبذلک أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملک لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدک ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيک وسعديک والخير کله في يديک، والشر ليس إليک، أنا بک وإليک، تبارکت وتعاليت، أستغفرک وأتوب إليک.[2]

هذا الدعاء يقوله العبد المسلم إذا قام إلى الصلاة من الليل وأما إذا رکع فقال: "اللهم لک رکعت وبک آمنت ولک أسلمت، خشع لک سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي، وإذا رفع قال: "اللهم ربنا لک الحمد ملأ السماوات وملأ الأرض وملأ ما بينهما وملأ ما شئت من شيء بعد".

وإذا سجد قال: "اللهم لک سجدت وبک آمنت ولک أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره، تبارک الله أحسن الخالقين".[3]

١٢– يستحب أن يطول الرجل القراءة في صلاة الليل لما روي عن حذيفة قال: "صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت: يرکع عند المائة ثم مضى فقلت: يصلي بها في رکعة فمضى فقلت: يرکع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأها مترسلا وإذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ.[4] الحديث.

يستحب لقارئ القرآن أن يسبح إذا مر بآية فيها تسبيح، ويسأل إذا مر بسؤال، ويتعوذ إذا مر بتعوذ لهذا الحديث المذكور أعلاه.

***

[1] رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس، کتاب الصلاة، باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه بالليل.
[2] رواه مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب، کتاب الصلاة، باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه بالليل.
[3] رواه مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب، کتاب الصلاة، باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه بالليل.
[4] رواه مسلم في صحيحه، کتاب الصلاة، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل.

تفنيد المزاعم

مركز جديد للاستغلال

نسام بن مركار.س
نيو دلهي

عندما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، حامل راية التوحيد ونور الهدى، وطال الأمد على تعاليمه، وتفرق الناس فيما بينهم على أصل العرق واللون واللغة والمذهب والاتجاه، وفقدت الأمة المسلمة زعامة قوية، تسربت إلى صفوفهم انحرافات عقدية تلوث روح التوحيد ومخه. شرع الناس يعملون على أقوال علماءهم وتركوا هداية الخالق وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم خلف ستار الحياة، وسرعان ما انقلبوا مثل الأمم السابقة، اليهود والنصارى، حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم آلهة يحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله كما ورد في القرآن الكريم "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون" (التوبة:٣١). إنما كان جهاد شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهم من علماء السلف الصالحين لتصفية عقائد الأمة من هذه الانحرافات وتقويتها وتوحيدها على أسس الإيمان الوطيدة والعقيدة الصحيحة. ورغم نجاح هؤلاء المجددين في إنقاذ الأمة من حافة نار كادت أن تنهار بهم، بقي على وجه الأرض أحبار ورهبان يضلون الناس عن سواء السبيل، ويستغلون جهالتهم لتحقيق مصالحهم الخاصة بهم بغض النظر عن شرعية الوسائل التي يتخذونها. وكان مجال العقيدة والإيمان أحب الأداة لديهم لإغواء الناس واستغلالهم حيث نجد في جميع أنحاء العالم أناسا يدعون إما الألوهية وإما قربة الآلهة، ويقع الناس في حبائلهم مثل الفراش التي تستهويها النار في ليلة مظلمة.

وإن بلادنا أيضا ليست متخلفة في هذا الصدد، حيث يعيش المسلمون فيها متجاورين ومختلطين مع أصحاب الديانات الأخرى، حتى دخل في عقيدتهم بعض الرسوم والاعتقادات الموجودة في سائر المذاهب، خاصة الهندوكية إذ يحرم في مذهبهم المنبوذون والطبقة السفلى من دخول المعابد ودعاء الآلهة مباشرة. هؤلاء مضطرون لاتخاذ وسيلة توصل طلباتهم وحاجاتهم إلى الآلهة. تلعب نفس هذه النظرية في قلوب بعض المسلمين، ويعتبرون أنفسهم غير ملاءمين

للاتصال بالله تعالى، فيلجأون إلى من يقربهم ويوصلهم إلى معبودهم. هناك طائفة من الرهبان ينشرون هذه النظرية ويستغلون جهالة بعض المسلمين، يعدونهم ويمنونهم بأن الشيخ فلان في مقبرة كذا وكذا قادر على أن يقربهم إلى الله ويشفع لهم وينجز آمالهم. يا للعجب، اتخذ الناس مقابر "أجمير" و"نظام الدين" قبلة لهم وجعلوا زيارتها أفضل من زيارة المساجد الثلاثة التي سن رسول الله صلى الله عليه وسلم زيارتها.

وها هو في جنوب الهند، يعد مخطط لبناء أكبر المساجد في الهند، يقدر نفقته أربعة مليارات روبية، للحفاظ على شعرات يدعى نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وصلت هذه الشعرات إلى ولاية كيرالا من أبي ظبي حيث أهدى بها الشيخ أحمد بن محمد الخزرجي إلى الشيخ أبي بكر أحمد (المعروف باسم كانتبم أ.ب أبوبكر مسليار في ولاية كيرالا)، زعيم جمعية العلماء لعموم كيرالا فرقة أ.ب، خلال مشاركته في حفلة كبيرة برحاب مركز الثقافة السنية بكالكوت. وقد تحدت الحركات الدينية جمعاء في كيرالا نية الشيخ أبي بكر في بناء هذا المسجد ومصداقية هذه الشعرات، وطلبوا منه إعلان السند الكامل لها حتى تتضح صحة نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم. لم يتجرأ الشيخ أبو بكر لبيان سلسلة الرجال الذين نقلوا هذه الشعرات من الرسول صلى الله عليه وسلم إليه، وإنما يرد على المعارضين بقوله "إن السند موجود عند الشيخ أحمد الخزرجي". هل من المتوقع من عالم مخلص أن ينسب شيئا إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون أن ينظر في سنده..؟ فما دوافع الشيخ للإتيان بهذه الشعرات وبناء أكبر المساجد في الهند لحفظها؟

وفي الحقيقة ما كان الشيخ أبو بكر ورفقاؤه يتوقعون مثل هذه المعارضة التي يواجهونها من جميع الأوساط الدينية حول السند ومصداقية الشعرات. لذلك، لما تعرضت أقنعة دعاويهم الباطلة للتمزيق أمام الناس بسلاح السند، جاءوا بفتاوى عجيبة تقول إن الآثار المشهورة لا تحتاج إلى سند، ويجب تعظيم كل شيئ يشتهر باسم النبي صلى الله عليه وسلم، ومن يطلب سنده هو مريض وصاحب قلب سقيم. ويتطرق الفتوى أيضا إلى حكم من يتهم شخصا، يدعي وجود آثار النبي صلى الله عليه وسلم عنده، بالكذب، ويشك في صدق تلك الآثار، يقول الفتوى "وأما القول بأن أكثر الناس في عصرنا يدعون بالتبركات وهي مصنوعة، فإن كان هذا (القول) مجملا بلا تعيين شخص، أي لا يقصد منه الإلزام وسوء الظن على شخص معين فلا حرج فيه، وفرض الأمر على

شخص خاص بغير دليل شرعي بأنه من الذين يدعون بالتبركات المصنوعة غير جائز وإثم وحرام بالضرورة، لأن غرضه سوء الظن فقط ولا كذب أكبر من سوء الظن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث". يقول أئمة الدين: "إنما ينشأ الظن الخبيث من القلب الخبيث".[١]

والشيء الثاني الذي يحيط هذه الشَعرات هو طولها المفرط حيث يبلغ طولها حسبما ذكر موقع الشيخ أبي بكر والذي تم حذفه منه إثر نزاع حول طولها، تقريبا ٧٥ سنتيميتر كأنه شعرات للنساء. إن الأحاديث الواردة في صفة شعر النبي صلى الله عليه وسلم لا تزودنا معرفة عن هذا الطول المفرط. إنما كان شعره يبلغ أحيانا شحمة أذنه أو يضرب على منكبيه كما تدل عليه رواية عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم مربوعاً بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنه رأيته في حلة حمراء لم أر شيئا قط أحسن منه (صحيح البخاري-٣٣٥٨، صحيح مسلم-٢٣٣٧)، ورواية عن قتادة، قال: "سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجِلا ليس بالسبط ولا الجعد بين أذنيه وعاتقه (صحيح البخاري-٥٥٦٥، صحيح مسلم-٢٣٣٧)، وفي رواية أخرى: "كان يضرب شعرُه منكبيه" (صحيح البخاري-٥٥٦٣، صحيح مسلم-٢٣٣٨).

أما بالنسبة إلى أمر إهداء الشيخ أحمد الخزرجي هذه الشعرات إلى الشيخ أبو بكر فقد لفقوا قصة منام رآه الشيخ الخزرجي حيث تجلى له النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره برضاه عن الشيخ أبي بكر وأمره بإهداء هذه الشعرات له. يدعي الشيخ أبو بكر في مؤتمر صحفي بأن هذه الشعرات كانت موجودة عند الخزرجي منذ سنين، وكان يقوم بعرضها كل سنة. ولكن لما اتصل نائب مستشار الجامعة الإسلامية "دار الهدى"، الدكتور بهاء الدين محمد الندوي، بالشيخ حسن الخزرجي، شقيق الشيخ أحمد الخزرجي، لتحقيق هذا الأمر أخبر بأنه لم تكن شعرات النبي صلى الله عليه وسلم موجودة عند أبيه ولا عند أعمامه، وأظهر شكوكه في مصداقية هذه الشعرات. إضافة إلى ذلك كثرة عدد الشعرات الموجودة لدى الشيخ أحمد الخزرجي أيضا تثير الشكوك حول صحة انتسابها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وما كان يوجد حتى عند أم سلمة زوجة النبي

[١]- هذا الفتوى يوجد في موقع الشيخ أبو بكر أحمد http://imanguide.com تحت ربط http://imanguide.com/ar/tabarruk-athaar/٢٤٢-sand-not-required-for-aathaar

صلى الله عليه وسلم إلا خمس شعرات له، فمن أين حصل هذا الرجل على خصلة من شعرات النبي صلى الله عليه وسلم، يزيد عددها أكثر من الألف.

يقترح الأستاذ عبد السلام مولوي في مقالته الواردة في أسبوعية "الدعوة" حول هذه القضية لتعريض جميع الشعرات الموجودة في مختلف أنحاء العالم، والتي تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لاختبار الحمض النووي حتى يتضح صحة نسبة جميع هذه الشعرات إلى شخصية واحدة. إذا أثبت الاختبار نسبتها إلى رجل واحد، لا بد من تحقيق السند الذي وصلت به هذه الشعرات من النبي صلى الله عليه وسلم إلينا. إنما يجوز لنا نسبة شعرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم عند وجود سند صحيح، وإلا يكون المصير إلى النار حسب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".

ومسألة أخرى في هذه القضية، بناء مسجد لحفظ هذه الشعرات حيث يريد الشيخ أبو بكر أحمد تشييد أكبر المساجد في الهند باسم مسجد الشعر المبارك، ويتمنى أن يتحول هذا المسجد إلى مركز كبير للزيارة والتبرك، ويصبح مقرا يجلب المسلمين من جميع أنحاء العالم كما هي حالة مقبرة خاجا محي الدين جشتي في أجمير ومسجد حضرة بال بكاشمير. ويكون هذا المسجد بالجنب إلى "مدينة العلم"، وهي مدينة قرر الشيخ أبو بكر أحمد بناءها في مدينة كالكوت، والتي تشتمل على المعاهد العلمية ومراكز التسوق والفيلات والشقق. يتوقع المخططون وراء هذا المشروع أن تكميل بناء المسجد وكثرة عدد الزوار ستفتح هناك بوابة جديدة للتجارة العقارية. وهذا سبب آخر يدفع الأوساط الدينية في ولاية كيرالا، بما فيهم السنيون والسلفيون والجماعة الإسلامية لوصفه محاولةً لاستخدام اسم النبي صلى الله عليه وسلم في تحقيق المصالح العقارية.

التبرك بشعرات النبي صلى الله عليه وسلم وفضلاته

يبرر الشيخ أبو بكر أحمد بناء هذا المسجد، بأنه يريد أن يتمكن جميع المسلمين من التبرك بهذه الشعرات، ويجد الزوار مكانا كافيا للصلاة والاستراحة. فما هي شرعية التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم؟ هذه مسألة يجب أن تناقش في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية.

قد ورد في القرآن الكريم ست كلمات مشتقة من البركة، وهي بارك، بورك، تبارك، بركات، مبارك، مباركة، في أكثر من ثلاثين آية، وكلها تدل على أن البركة من الله سبحانه وتعالى

، لا من أي مخلوق، ولا يقدر أحد ليبارك أحدا إلا الله العلي الكبير، ولم يذكر القرآن الكريم عن أي نبي من الأنبياء يبارك أتباعه.

وأما بالنسبة إلى الأحاديث، فقد ورد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه لتوزيع شعراته بين الناس حينما حلق رأسه في حجة الوداع، كما ورد في الحديث الشريف؛ عن أنس رضي الله عنه: "لما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة، ونحر نسكه، وحلق ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري، فأعطاه إياه، ثم ناوله الشق الأيسر، فقال: احلق، فحلقه، فأعطاه أبا طلحة، فقال: اقسمه بين الناس" (صحيح مسلم-٢٣٠٨). كانت الصحابة ينظرون إلى آثار النبي صلى الله عليه وسلم بكل أدب واحترام، وحفظ من حصل منهم على شعرات النبي صلى الله عليه وسلم، وتبرك بعضهم بها حيث يروي الإمام البخاري عن عثمان بن عبد الله بن موهب "قال: أرسلني أهلي إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بقدح من ماء وقبض إسرائيل ثلاث أصابع من قصة فيه شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبه فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمرا "(صحيح البخاري-٥٥٥٧). يدل هذا الحديث على أن أم سلمة، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، كانت تستخدم شعراته لشفاء الأمراض. وصحابي آخر تبرك بشعر النبي صلى الله عليه وسلم، هو سيف الله المسلول خالد بن الوليد، إنه كان يضع ناصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلنسوته ويلبسها في حروبه حتى لا يشهد قتالا وهي معه إلا رزق النصر.

هكذا نجد بعض الصحابة يتبركون بفضلات طعام النبي صلى الله عليه وسلم. عندما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة اتخذ بيت أبي أيوب الأنصاري مسكنا له قبل بناء المسجد النبوي وبيته. فكان أبو أيوب وأهله رضي الله عنهما يأكلون من فضلات النبي صلى الله عليه وسلم ومن موضع يده. يذكر أبو أيوب رضي الله عنه تلك الأيام: "كنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه فإذا رد علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة" (البداية والنهاية، ٤\١٦٧). وبعضهم استخدموا عرق النبي صلى الله عليه وسلم للتبرك به كما فعلت أم سليم رضي الله عنها. يروي الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل بيت أم سليم، فينام على فراشها، وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم، فنام على فراشها، فأتيت، فقيل لها: هذا النبي صلى الله عليه وسلم نام في بيتك، على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق

واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها، فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: أصبت". (صحيح مسلم-٤٣٠١). وقد ذهب العلماء على ضوء هذه الأدلة بجواز التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم.

رغم هذه الأدلة كلها لا نجد أحداً من الخلفاء الراشدين ولا الصحابة الأجلاء المعروفين بعلمهم وفهمهم مثل عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضوان الله عليهم، يحفظ آثار النبي صلى الله عليه وسلم ويتبرك بها. وإذا نظرنا في الروايات السابقة يتضح لنا أن التبرك الجائز هو استخدام آثار النبي صلى الله عليه وسلم، كعلامة لحب شديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وطلب البركة من الله تعالى، لأنه هو صاحب الخير والبركات وهو القادر الوحيد ليبارك عباده. لم يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ليتبركوا بشعراته حينما أمر بتوزيعه بين الناس. إنما كان يريد أن يبقي عند أصحابه شيئاً من آثاره، يذكرهم بأحب الناس إليهم بعد رحيله إلى جوار رحمة الله تعالى. وأما رواية أم سلمة رضي الله عنها، لا تعتبر حديثاً، وإنما هي أثر، ولا يعد دليلا عند الفقهاء. وبالنسبة إلى أعمال خالد بن الوليد وأبي أيوب الأنصاري وأم سليم رضوان الله عليهم، إنها تعبر عن مشاعرهم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبهم الشديد له. وما كان أحد منهم يؤله آثار النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعتقد، أن لها قدرة لتشفي الناس وتباركهم وتقضي حوائجهم، لأن هذا الاعتقاد يؤدي إلى الشرك في صفات الله تعالى.

من الواقعات المشهورة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم نبوع الماء من بين أصابعه لما كان أصحابه في حاجة ماسة إلى الماء للتوضؤ، وحادثة زيادة في طعام قليل، صنع في بيت جابر بن عبد الله رضي الله عنه أثناء أيام الخندق، حتى أكل منه جميع أصحابه، وبقي الطعام كأنه لم يأكل منه أحد. ومنها أيضا مسحة النبي صلى الله عليه وسلم بريقه موضع نهشة حية من أبي بكر رضي الله عنه إذ تغيبا في غار ثور. ومع هذا، لا نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يلجأ إلى هذه الوسائل كلما واجه هو وأصحابه قلة الماء والأكل، وكانت هناك شهور متتالية لا يطبخ فيها شيء في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم. هكذا، لم يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يعالجوا

أمراضهم بريقة ولا شعرته، وإنما حثهم على استعمال الأدوية للمداواة حيث قال: إن الله لم يخلق داءً إلا جعل له دواءً.

وجود آثار النبي (صلى الله عليه وسلم) على وجه الأرض

يوجد في مختلف أنحاء العالم آثار تنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحفظ بكل أدب واحترام. وإذا نظرنا إلى سند تلك الآثار لا نجد سوى اسم واحد أو اثنين أو ثلاثة على الأكثر، وتبقى أسماء الرجال الباقين مجهولة. وإن هذا أمر واقعي يذهب إليه الباحثون حول آثار النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يرى أحمد تيمور باشا، باحث مصري، في كتابه الشهير "الآثار النبوية"، بأن معظم الآثار التي تنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبقى مجهولة الأصل. وهذا السبب نفسه، جعل ناصر الدين الألباني يقول: "ونحن نعلم أن آثاره صلى الله عليه وسلم من ثياب أو شعر أو فضلات قد فقدت، وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيئ منها على وجه القطع واليقين (التوسل المشروع وغير المشروع، ص١٤٣).

إن الصحابة كانوا يملكون من شعرات النبي صلى الله عليه وسلم ما يعد بالأصابع، إما شعرة أو شعرتان أو أقل من عشر شعرات، وكانت شعراته نادرة جدا، حتى لدى التابعين. وتدل على هذا رواية عن ابن سيرين، قال: قلت لعبيدة: عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم شيئ أصبناه من قبل أنس، فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها (صحيح البخاري-١٦٨). والأمر الذي يلفت نظرنا هنا، هو أننا نرى تابعيا رافق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، يندر له الحصول على شعرة للنبي صلى الله عليه وسلم حتى في القرن الأول الهجري. فكيف نتأكد من وجود آثار النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد أن مضت أربعة عشرة قرنا على وفاته؟ هل من المعقول أن توجد خصلة من شعرات النبي صلى الله عليه وسلم عند شخص من أبي ظبي في هذا الوقت؟ أو يريد هؤلاء الناس استغلال مشاعر المسلمين نحو نبيهم الكريم (صلى الله عليه وسلم) وتحقيق مصالحهم الخاصة بهم بهذه الشعرات المصطنعة.

***

الأدب العربي

المتنبي
مالئ الدّنيا وشاغل النّاس

(٧-٧)

وسيم المحمدي / المدينة المنورة

مختارات من شعر المتنبي

وما الدّهرُ إلا من رواةِ قصائدِي ... إذا قلتُ شِعراً أصبحَ الدّهرُ مُنشِدا
فسارَ به من لا يسيرُ مشمِّرا ... وغنّى به من لا يُغنّي مُغَرِّدا
فدعْ كلَّ صَوْتٍ غيرَ صَوْتي فإنّني ... أنا الصائحُ المحكيُّ والآخرُ الصَّدَى

سئل بعض الأساتذة المتخصصين عن مختارات شعر المتنبي، فقال: "شعره كله مختار"؛ وذلك لكثرة طيبه، ووفرة جيده من الشعر، وما تحمل في طياتها من معان سامية، وأهداف نبيلة، وتجارب عميقة. فكأنها تصدر من خواطر الناس، وتنبع من عقولهم أجمعين.

وقد جمعتُ - ولا أزال أجمع - مختارات من شعر أبي الطيب المتنبي، والله وليّ التوفيق.

ومن هذه المختارات:

ومَن صَحِبَ الدُّنيا طويلا تقلّبت ... على عينه حتّى يرى صدقها كذبا

***

ضروبُ الناسِ عُشّاقٌ ضروبا ... فأَعذَرُهم أَشَفُّهُمُ حبيبا

***

فحُبّ الجبان النفسَ أورده التُّقى ... وحُبّ الشجاع النفسَ أورده الحربا
ويختلف الرِّزقانِ والفعل واحدٌ ... إلى أن يرى إحسانُ هذا لِذا ذنبا

***

وإن كان ذنبي كلَّ ذنبٍ فإنه ... مَحا الذنبَ كلَّ المَحوِ من جاء تائبا

***

وما الّيلُ بأطولَ من نَهارٍ ... يظلُّ بِلَحْظِ حُسّادي مَشوبا
وما موتٌ بأبغض من حياةٍ ... أرى لَهُمُ معي فيها نصيبا

***

فليتَ طالعةَ الشّمسينِ غائبةٌ ... وليتَ غائبةَ الشمسين لَم تَغِبِ
وليتَ عيْنَ التي آب النهارُ بها ... فداءُ عينِ التي زالت ولَم تؤبِ

ومَن تفكّرَ في الدنيا ومُهجَتِـهِ | أقامهُ الفِكرُ بين العَجْزِ و التّعبِ

***

نَحـن بنـو المـوتِ فما بالُنا | نعـــاف ما لابُـدّ من شربِه

***

وغايـةُ المفرِطِ فـي سِلْمِهِ | كغايـةِ المُفرِطِ فـي حرْبِهِ

***

كأن الرّدى عادٍ على كل ماجد | إذا لَم يعـــوّذ مَجْدَهُ بعيوبِ

***

حسنُ الحضارةِ مَجلوبٌ بتطريةٍ | وفي البداوةِ حسنٌ غيرُ مَجْلوبِ

***

وللترك للإحسان خيرٌ لِمُحْسنٍ | إذا جعــل الإحسانَ غيرَ ربيبِ

***

وفي تعبٍ مَن يَحْسُدُ الشّمسَ نورَها | ويَجـــهـــدُ أن يأتي لَها بضريبِ

***

ومَن سَرَّ أهل الأرض ثُمّ بكى أسىً | بكى بعيـــونٍ سـرّها وقلوبِ
وإنّي وإن كان الدّفينُ حبيبـــه | حبيـبٌ إلى قلبِي حبيبُ حبيبِي
وقد فـــارق الناسُ الأَحبّةَ قبلنـا | وأعيـا دواءُ المـوت كُلَّ طبيب

***

ورُبَّ كئيبٍ ليس تندى جُفونُهُ | ورُبَّ كثيـرِ الدَّمــعِ غيرُ كئيبِ

***

ليتَ الحوادثَ باعتْني الذي أخذت | منّي بِحلمي الذي أعطت وتَجريبي

***

وجُـرْمٍ جـرَّهُ سُفهاءُ قـومٍ | فحلَّ بغيـر جارمـه العذابُ

***

أعزّ مكانٍ في الدُّنى سـرج سابِـحٍ | وخير جليس فـي الـزمان كتابُ
وهل نافعي أن تُرفع الحجبُ بيننـا | ودون الذي أمّلْتُ منكَ حِجابُ
أُقِلُّ سلامي حبّ ما خفّ عنـــكم | وأسكتُ كيمـا لا يكون جوابُ
وفي النفس حاجاتٌ وفيكَ فطانـةٌ | سُكوتِي بيانٌ عنـــدها وخِطابُ
إذا نلْتُ منـكَ الـودّ فالكلُّ هيّنٌ | وكلّ الّذي فـــوق التراب ترابُ

***

وللسِّرِّ منّـي موضعٌ لا ينالُهُ   نديـمٌ ولا يُفضي إليه شرابُ
ولِلخودِ منّـي ساعةٌ ثُمَّ بيننا   فـلاة إلى غيـرِ اللّقاءِ تُجابُ

***

تركنا لأطراف القنا كلَّ شهوةٍ   فليـس لنـا إلاّ بِهـنَّ لِعـابُ

***

وأظلمُ أهل الظلم مَن باتَ حاسدا   لِمَن بـاتَ في نعمائِـهِ يَتَقَلَّبُ
وكلُّ امرئٍ يولي الجميلَ مُحبَّبٌ   وكـلُّ مكانٍ يُنبتُ العِزَّ طيّبُ

***

يُجَشِّمُكَ الزَّمانُ هـوى وحبّا   وقد يُؤْذِي من المِقَـةِ الحبيبُ

***

في النّاسِ أمثلَـةٌ تـدورُ حياتُها   كَممـاتِها، ومَماتُها كحَـياتِها

***

لو كنتَ بَحرا لَم يكن لكَ ساحل   أو كنتَ غيثا ضاقَ عنكَ اللُّوحُ
وخشيتُ منكَ على البلادِ وأهلِها   مـا كان أنـذرَ قومَ نوحٍ نوحُ

***

لكل امرئ من دهـره مـا تعـودا   وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
وما قتلَ الأحرارَ كالعفوِ عنهـمُ   ومـن لكَ بالحرِّ الذي يَحفظُ اليدا
إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَـهُ   وإن أنتَ أكـرمتَ اللئيـمَ تَمـرّدا
ووضعُ الندى في موضعِ السيفِ بالعلا   مُضِرٌّ كوضعِ السيفِ في موضعِ النـدى

***

وما الدَّهرُ إلا من رُواةِ قلائدي   إذا قلتُ شِعرا أصبحَ الدَّهرُ مُنشِدا
فسارَ بـهِ مَـن لا يسيرُ مُشَمِّرا   وغَنّى بـهِ مَـن لا يُغَنّي مُغَرِّدا
أَجزني إذا أُنْشِدْتَ شعرا فإنّمـا   بشعري أتـاكَ المادِحونَ مُرَدِّدا
ودَعْ كلَّ صوتٍ غيرَ صوتي فإنّني   أنا الصّائِحُ المَحكِيُّ والآخَرُ الصَّدى

***

وقيّدتُ نفسي في ذُراكَ مَحبّةً   ومَن وجدَ الإحسانَ قيدا تقيّدا

***

إنّما تَنجحُ المقـالةُ فـي المـر   ءِ إذا صادَفتْ هوىً في الفؤادِ
وإذا الحِلمُ لَم يكن في طِباعٍ   لَـم يُحلِّـم تـقـدُّمُ الميلادِ

***

تفضّلتِ الأيامُ بالجَمعِ بيننا ... فلمّا حمدنا لَم تُدمنا على الحمدِ
جعلنَ وداعي واحدا لثلاثة ... جَمالك والعلم المبرّح والمَجدِ
وقد كنتُ أدركتُ المنى غير أنّني ... يُعيّرني أهلي بإدراكها وحدِي
فجدُ لي بقلبٍ إن رحلتُ فإنّني ... مُخلِّفُ قلبي عندَ من فضلُه عندِي
ولو فارقتْ نفسي إليك حياتَها ... لقلتُ أصابتْ غيرَ مذمومةِ العهدِ
يُعلِّلنا هذا الزمانُ بوعدِهِ ... ويَخدعُ عمّا في يديهِ من الرِّفْدِ

***

إن أكن معجبا فعُجبُ عجيب ... لم يجد فوق نفسه من مزيدِ
أنا تربُ الندى وربُّ القوافي ... وسمامُ العِدا وغيظُ الحَسُودِ

***

ومن نَكدِ الدنيا على الحر أن يرى ... عدوّا له ما من صداقته بُدُّ

***

أهمُّ بشيءٍ والليالي كأنّها ... تُطاردني عن كونه وأطاردُ

***

بذا قضتِ الأيامُ ما بيْنَ أهلِها ... مصائبُ قومٍ عندَ قومٍ فوائدُ

***

وكلٌّ يرى طُرقَ الشجاعةِ والندى ... ولكنَّ طَبْعَ النفسِ للنفسِ قائدُ
وإنَّ قليل الحبِّ بالعقلِ صالِحٌ ... وإنَّ كثيرَ الحبِّ بالجهلِ فاسدُ

***

لقد حازَني وَجْدٌ بِمن حازهُ بُعْدُ ... فيا ليتنِي بُعْدٌ ويا ليتَهُ وَجْدُ
إذا غدرت حسناء أوفت بعهدها ... ومن عهدها أن لا يدوم لها عهدُ
وإن عشقت كانت أشد صبابةً ... وإن فركت فاذهب فما فركها قصدُ
وإن حقَدت لم يبق في قلبها رضا ... وإن رضِيت لم يبق في قلبها حقدُ
كذلك أخلاق النساء وربما ... يَضِلُّ بها الهادي ويخفى بها الرّشدُ
ولكنَّ حبّا خامَرَ القلبَ في الصّبا ... يزيدُ على مرِّ الزمانِ ويشتدُّ

***

وأُكرمُ نفسي عن جزاءٍ بغيبةٍ ... وكلّ اغتياب جهدُ مَن لا لهُ جهدُ
فلا زلت ألقى الحاسدينَ بمثلها ... وفي يدهم غيظ وفي يدي الرِّفدُ
يرومون شأوي في الكلام وإنما ... يحاكي الفتى فيما خلا المنطقَ القردُ

وأصبح شعري منهما في مكانه ... وفي عنق الحسناء يستحسن العقدُ

***

وأتعبُ خلقِ اللهِ مَن زادَ هَمُّه ... وقصَّرَ عما تَشتهي النفسُ وُجدُهُ
فلا ينحللْ في المَجْدِ مالُكَ كلُّه ... فينحلَّ مَجدٌ كان بالمالِ عقدُهُ
ودبِّرْهُ تدبيرَ الّذي المَجْدُ كفُّهُ ... إذا حارب الأعداءَ والمالُ زَندُهُ
فلا مَجْدَ في الدنيا لِمَن قلَّ مالُهُ ... ولا مالَ في الدُّنيا لِمَن قلَّ مَجْدُهُ

***

وحيدٌ من الخِلاّن في كل بلدةٍ ... إذا عظم المطلوب قلّ المساعدُ

***

وفي الناس مَن يرضى بِميسورِ عيشِهِ ... ومَرْكوبُهُ رِجْلاهُ والثّوبُ جلدُهُ

***

عيدٌ بأيّةِ حالٍ عُدتَ ياعيدُ ... بما مضى أم بأمرٍ فيكَ تَجديدُ
أما الأحبّةُ فالبيداء دونَهمُ ... فليتَ دونكَ بِيدًا دونَها بيدُ
لَم يتركِ الدّهرُ من قلبي ولا كبدي ... شيئًا تُتيِّمُهُ عينٌ ولا جِيدُ

***

ومافي سطوة الأربابِ عَيْبٌ ... ولا في ذِلّة العبْدان عارُ

***

وإفشاءُ ما أنا مُستودعٌ ... من الغدر والحر لا يغدر
إذا ما قدرتُ على نطقةٍ ... فإني على تركها أقدرُ
أُصرفُ نفسي كما أشتهي ... وأملكها والقنى أحْمرُ

***

دعِ النَّفسَ تأخذْ وسْعَها قبل بيْنِها ... فمفترقٌ جاران دارُهُما العُمْرُ

***

ولا تَحسَبَنَّ المَجدَ زِقّاً وقَينة ... فما المجدُ إلا السيفُ والفتكةُ البكر
وتركك في الدنيا دويّاً كأنّما ... تداول سَمعَ المرءِ أنْمُلُهُ العشر

***

إذا الفضلُ لَم يرفعكَ عن شكر ناقص ... على هيئةٍ فالفضلُ فيمن له الشكرُ
ومَن ينفقِ الساعاتِ في جَمْعِ مالِهِ ... مَخافةَ فقرٍ فالذي فعلَ الفقرُ

وكمْ من جبالٍ جُبتُ تشهـــد أنّني الجبالُ، وبَحرٍ شاهدٍ أنّني البحرُ

***

إنّي لأعلمُ واللبيـــبُ خبيـرُ أن الحياةَ وإن حرصتُ غرورُ

***

إنّ السلاحَ جميعُ الناسِ تَحْمِلهُ وليسَ كلُّ ذواتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ

***

حشايَ على جَمرٍ ذكيّ من الهوى وعينايَ في روضٍ من الحُسنِ ترتعُ
ولو حُمِّلتُ صُمُّ الجبـال الذي بِنا غداةَ افترقنـا أوشكتْ تَتَصَـدَّعُ

***

قد كان يَمنعني الحياءُ من البكا فاليـومَ يَمنعه البكا أن يَمنعا
حتّى كأنّ لكلّ عظـمٍ رنّـةً في جلدِه ولكلّ عِرقٍ مَدمعا

***

كشفت ثلاثَ ذوائبَ من شعرها في ليلةٍ فأرت ليـاليَ أربعـا
واستقبلتْ قَمرَ السماءِ بوجههـا فأرتني القمرين في وقتٍ معا

***

نفسٌ لَها خلقُ الزمان لأنّـهُ مُفني النفـوسِ مُفرِّقٌ مـا جَمَّعا
ويدٌ لَهـا كرمُ الغَمامِ لأنّـهُ يسقي العِمارةَ والمكانَ البلقعا

***

غير اختيـارٍ قبلتُ برّكَ بي والجوعُ يُرضي الأسودَ بالجيفِ

***

فتى لا تسلبُ القتـلى يداهُ ويسلبُ عفوُهُ الأسرى الوثاقا

***

وما يوجعُ الحرمانُ من كَفِّ حارمٍ كما يوجعُ الحرمانُ من كفِّ رازاقِ

***

وما الحسنُ في وجهِ الفتى شرفاله إذا لَم يكن في فعـله والخـلائقِ

***

وعذلتُ أهلَ العِشقِ حتى ذقتُهُ فعجِبتُ كيف يَموتُ مَن لا يعشـقُ
وعذرتُهـم وعرفتُ ذنبـي أنّني عيَّرتُهُـم فلقيتُ فيـــهِ ما لقُـوا
نبكي على الدنيا وما من معشـرٍ جَمعتْهُمُ الدّنيـــا فلَم يتفــرّقوا

والموتُ آتٍ والنّفوسُ نفائسٌ والمستغرُّ بما لديــهِ الأحَمـقُ
والمرءُ يأمُـلُ والحياة شهيّــةٌ والشّيبُ أوقَرُ والشَّبيبــةُ أنـزقُ

***

والغِنى في يـدِ اللَّئيمِ قبيــحٌ قدرَ قُبْحِ الكريمِ في الإملاقِ

***

وفي الأحبابِ مُختصٌّ بوجدٍ وآخرُ يدَّعي معهُ اشتراكا
إذا اشتبهت دموعٌ في خدودٍ تبيّنَ مَن بكى مِمّن تباكى

***

وإذا ما خـلا الجبــانُ بأرضٍ طلب الطعن وحده والنّزالا

***

ومَن يكُ ذا فَمٍ مُـرٍّ مريضٍ يَجِدْ مُـرّاً بــهِ الماءَ الزُّلالا

***

ما كلُّ مَن طلبَ المعالي نافذا فيهــا ولا كلُّ الرِّجالِ فُحولا

***

كأنّ الحُزنَ مشغوفٌ بقلبِي فساعةَ هجرِها يَجدُ الوِصالا

***

ولولا مفارقة الأحباب ما وجدت لَهــا المنــايا إلى أرواحنا سُبُـلا

***

آلـةُ العيشِ صحّـةٌ وشبابٌ فـإذا ولَّيَا عـنِ المـرءِ ولَّـى
وإذا قالَ الشيّخُ: أفٍّ فما ملَّ حيـــاةً وإنّما الضّعْفَ مـلاّ

***

رَماني الدهـرُ بالأرزاءِ حتّى فـؤادي فـي غشـاءٍ مـن نِبالِ
فصِرتُ إذا أصابتني سِهـامٌ تكسّرتِ النّصالُ على النّصالِ

***

وأفجعُ من فقدنا من وجدنا قُبيلَ الفقـدِ مفقودَ المِثـالِ
يُدفِّـنُ بعضُنا بعضا وتَمشي أواخِرُنا على هــامِ الأوالي
وكم عيـنٍ مُقَبَّلَةِ النّواحـي كَحيـلٌ بالجنادلِ والرِّمالِ

***

ذريني أنَلْ ما لا يُنـــالُ مــن العُلا فصعبُ العُلا في الصّعبِ والسّهلُ في السهلِ

تُريدينَ لُقيان المعـــالي رخيصـةً ... ولا بدّ دون الشّهـدِ مـن إبَرِ النّحـــلِ

***

هل الولدُ المَحبــوبُ إلاّ تَعلّةٌ ... وهل خلوة الحسناء إلا أذى البعلِ؟

وما الدهرُ أهلٌ أن تؤمّلَ عنـــده ... حيـــاةٌ وأن يُشتـاقَ فيه إلى النسلِ

وما تسعُ الأزمانُ علمي بأمرهـا ... ولا تُحسنُ الأيـــامُ تكتبُ ما أمـلي

***

أَمِطْ عنك تشبيهي بِمـا وكأنّــه ... فمـا أحـدٌ فوقـي ولا أحـدٌ مثـــلي

وذرني وإيّـاه وطِرفـي وذابِلي ... نكن واحدا يلقى الورى وانظرن فعلي

***

ومَن لَم يعشـــقِ الدنيـــا قديما ... ولكن لا سبيـــل إلى الوصالِ

نصيبُكَ في حياتِكَ من حبيبٍ ... نصيبُك في منامِكَ من خيالِ

***

دون الحلاوةِ في الزمانِ مرارةٌ ... لا تُختَطى إلاّ على أهـــوالِـــهِ

***

وما صبــــابةُ مُشتاقٍ على أمـلٍ ... من اللّقــاءِ كمُشتـــاقٍ بلا أملِ

والهجرُ أقتـــلُ لـي مِمّا أراقبه ... أنا الغـريقُ فَما خوفي من البللِ

لعـلّ عتْبَكَ مَحْمـودٌ عواقِبُه ... فربّما صحّتِ الأجسامُ بالعِلَلِ

***

خذ ما تراه ودعْ شيئا سَمِعْتَ بِهِ ... في طلعة الشمسِ ما يُغنيكَ عن زحلِ

***

قـد ذُقتُ شـــدّةَ أيّامي ولذّتَها ... فما حصلتُ على صابٍ ولا عسلِ

***

وليسَ يَصحُّ فِي الأفهامِ شيءٌ ... إذا احتـــاجَ النّهارُ إلـى دليلِ

***

لولا المشقّةُ ساد الناسُ كلُّهُــمُ ... الجـودُ يُفْقِرُ والإقـــدامُ قتّـالُ

وإنّما يبلغُ الإنســـانُ طاقتَـهُ ... ما كلُّ ماشيةٍ بالرّحل شِمـــــلالُ

إنّا لفي زمنٍ ترْكُ القبيـــحِ به ... من أكثر الناس إحسانٌ وإجمالُ

***

إذا اعتادَ الفتى خوضَ المنايا ... فأهونُ ما يَمرُّ به الوحولُ

ومن أمرَ الحصونَ فماعصتـهُ أطاعتهُ الحزونةُ والسهولُ

***

سوى وجـعِ الحُسّادِ داوِ فإنّه إذا حلَّ في قلبٍ فليس يَحولُ

ولا تطمعَنْ من حاسدٍ في مودّةٍ وإن كنتَ تبـديهـا له وتنيلُ

وإنّا لنلقى الحـادثاتِ بأنفُسٍ كثيرُ الرّزايـا عنـدهنّ قليلُ

يهونُ علينا أن تُصابَ جسومُنا وتسلمَ أعراضٌ لنـا وعقولُ

***

لياليَّ بعـد الظاعنينَ شُـكولُ طوالٌ وليـلُ العـاشقينَ طويلُ

وما عشت من بعد الأحبّـة سلوة ولكنني للنـائبـات حمـول

تَملُّ الحُصونُ الشّمُّ طولَ نِزالِنا فتُلقـي إلينـا أهلَهـا وتـزولُ

***

وأنا الذي اجتلبَ المنيّةَ طرْفُهُ فمن المطالَبُ والقتيلُ القاتلُ

وإذا أتتكَ مـذمّتي مـن ناقصٍ فهـي الشهـادةُ لي بأنّي كاملُ

***

إذا قيل رفقا قال للحلم موضعٌ وحلم الفتى في غير موضعه جهلُ

***

وإذا خامَرَ الهوى قلْبَ صَبٍّ فعليـهِ لِكلِّ عيْـنٍ دليـلُ

***

يعطيك مبتـدئـا فـإن أعجلتـه أعطاك معتذرا كمن قـد أجرما

ويرى التّعظّم أن يُرى متواضعا ويرى التّواضع أن يُرى متعظّما

نصر الفعال على المطال كأنّمـا خالَ السؤال على النوال مُحرّما

***

ألا لا أُري الأحداثَ مدحا ولا ذمَّا فما بطشها جهـلا ولا كفُّهـا حِلما

أَحِـنُّ إلى الكأس التي شربت بهـا وأهـوى لمثواهـا التّرابَ وما ضمّا

حـرامٌ على قلبي السـرورُ فإنّنـي أعـدُّ الذي مـاتت بـه بعـدَهـا سُمّا

***

كلُّ حِلمٍ أتى بغيـر اقتدارٍ حجّـةٌ لاجـئٌ إليهـا اللِّئامُ

***

أمثلي تأخذُ النكباتُ منـهُ ويَجزعُ من ملاقاة الحِمامِ

ولو برزَ الزّمانُ إليّ شخصا لَخَضّبَ شعرَ مفرقِهِ حُسامي
وما بلَغَتْ مشيئَتها اللّيالـي ولا سارتْ وفي يدها زِمامي

***

يُحاذرُني حتفي كأنّيَ حتفُهُ وتنكزني الأفعى فيقتلها سُمّي

***

وإذا كانتِ النفوسُ كبارا تعِبَتْ في مرادها الأجسامُ

***

ومَن خبَرَ الغواني فالغواني ضِياءٌ فِي بواطِنِه ظـلامُ
وما كلٌّ بِمَعـــذورٍ ببخـلٍ ولا كلٌّ على بُخـلٍ يُلامُ
تلذُّ لَه المروءة وهي تُؤذي ومَن يعشقْ يلذُّ لَه الغرامُ

***

وقد يتزيّا بالـهـوى غيرُ أهلِهِ ويستصحبُ الإنسانُ مَن لا يلائِمُه

***

أنا الذي نظر الأعمـى إلى أدبِي وأسْمَعَتْ كلماتي مَن به صَمَـمُ
أنام ملءَ جفوني عن شـواردها ويسهر الخلقُ جرّاها ويَختصِمُ
اللّيلُ والخيلُ والبـيداء تعرفُني والسّيفُ والرّمحُ والقِرطاسُ والقلمُ
إذا نظرتَ نُيـوبَ اللّيثِ بارزةً فلا تَظنّـنَّ أن اللّيثَ مُبتسِـــمُ

***

يا مَن يعزُّ علينـا أن نُفـارقَهُم وجـدانُنا كلَّ شيءٍ بعـدكُم عدمُ
إن كان سرَّكم ما قال حاسـدُنا فما لِجـرحٍ إذا أرضـاكُمُ ألَمُ
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفـةٌ إنّ المعارفَ في أهلِ النُّهـى ذِمَمُ
كم تطلبون لنا عيبا فيُعجِزُكُـمُ ويكرهُ اللهُ ما تـأتـونَ والكـرمُ
سيعلم الجمع مِمّن ضمّ مجلسنا بأنّني خيرُ من تسعـى بـه قدمُ

***

والذّلُّ يُظهِرُ فِي الذّليلِ مودّةً وأودُّ منه لِمَن يَوَدُّ الأرقَمُ

***

وما منْزِلُ اللّذّاتِ عندي بِمنْزِلٍ إذا لَم أُبَجّـلْ عِنَدهُ وأُكَرّمُ؟

***

شرُّ البلادِ مكانٌ لا صديقَ بـهِ وشرُّ ما يكسبُ الإنسانُ ما يصِمُ

***

على قدر أهلِ العزمِ تأتي العزائِمُ ... وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ
وتعظمُ في عينِ الصغيرِ صغارُها ... وتصغرُ في عينِ العظيمِ العظائِمُ
وقفتَ وما في الموتِ شكٌّ لواقفٍ ... كأنّكَ في جفنِ الرّدى وهو نائِمُ
تَمرُّ بكَ الأبطالُ كلْمى هزيمةً ... ووجهكَ وضّاحٌ وثغركَ باسِمُ
ومَن طلبَ الفتحَ الجليلَ فإنّما ... مفاتيحُهُ البيضُ الخِفافُ الصّوارِمُ

***

وما تنفعُ الخيلُ الكرامُ ولا القنا ... إذا لَم يكن فوقَ الكرامِ كرامُ

***

وزاركَ بِي دونَ الملوكِ تَحرُّجي ... إذا عنَّ بَحرٌ لَم يَجُزْ لي التّيمُّمُ
فعشْ لو فدى المملوكُ ربا بنفسه ... من الموتِ لَم تُفقدْ وفي الأرضِ مُسلِمُ

***

ذلّ مَن يَغبطُ الذليلَ بعيشٍ ... رُبَّ عيشٍ أخف منه الحِمامُ
مَن يَهُنْ يسهَلُ الهوانُ عليهِ ... مالِجرحٍ بميّتٍ إيلامُ

***

عرفتُ اللّيالي قبلَ ما صنعَتْ بنا ... فلمّا دهتني لَم تزدني بِها علما

***

وإنّي لَمِن قومٍ كأنّ نفوسَنا ... بِها أَنَفٌ أن تسكنَ اللّحمَ والعظما

***

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه ... إذا اتّسعت في الحلم طُرقُ المظالِمِ
وأن ترِدَ الماءَ الذي شطرُهُ دمٌ ... فتُسقى إذا لَم يُسقَ من لَم يُزاحِمِ
ومن عرفَ الأيامَ معرفتي بِها ... وبالنّاسِ روّى رُمْحَه غيرَ راحِمِ
فليس بِمرحومٍ إذا ظفروا بهِ ... ولا في الرّدى الجاري عليهم بآثِمِ
إذا صلتُ لَم أتركْ مصالاً لصائلٍ ... وإن قلتُ لَم أتركْ مقالاً لِعالِمِ
سرى النومُ عنّي في سراي إلى الذي ... صنائعُهُ تسري إلى كلِّ نائِمِ

***

إذا غامرتَ في شرفٍ مَرومٍ ... فلا تقنعْ بِما دونَ النُّجومِ
فطعمُ الموتِ في أمرٍ صغيرٍ ... كطعمِ الموتِ في أمرٍ عظيمِ
يرى الجبناءُ أنّ العجزَ عقلٌ ... وتلكَ خديعةُ الطّبعِ اللّئيمِ
وكلُّ شَجاعةٍ في المرءِ تُغني ... ولا مثل الشجاعة في الحكيمِ

وكم من عائبٍ قولا صحيحا | وآفته من الفهم السقيمِ
ولكن تأخذ الآذانُ منه | على قدرِ القرائحِ والعلومِ

***

والهمُّ يَخترمُ الجسيمَ نَحافةً | ويُشيبُ ناصيةَ الصّبيّ ويُهرِمُ
ذو العقلِ يشقى في النّعيم بعقله | وأخو الجَهالَةِ في الشّقاوةِ ينعمُ
والناسُ قد نبذوا الحِفاظَ فمطلقٌ | ينسى الذي يُولي وعافٍ يندَمُ

***

يؤذِي القليلُ من اللئام بطبعه | من لا يقلُّ كما يقلُّ ويلؤمُ
لا يَخدعنكَ من عدوٍّ دمعُهُ | وارحَم شبابكَ من عدوٍّ ترحمُ
لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى | حتّى يُراقَ على جوانبِهِ الدّمُ
الظلمُ من شِيَمِ النفوسِ فإن تَجد | ذا عِفّةٍ فلِعلّةٍ لا يظلِمُ

***

ومن البلِيّةِ عذلُ مَن لا يرعوي | عن غيّهِ وخِطابُ مَن لا يَفْهَمُ
ومن العداوة ما ينالُكَ نفعُهُ | ومن الصداقة ما يضرُّ ويؤلِمُ

***

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءتْ ظنونُهُ | وصدَّقَ ما يعتادُهُ من توهُّمِ
وعادى مُحبّيهِ بقول عُداتِهِ | وأصبح في ليلٍ من الشّكّ مُظلِمِ
أُصادقُ نفسَ المرءِ من قبلِ جسمِهِ | وأعرفُها في فعلِه والتكلُّمِ
وأحلم عن خِلّي وأعلمُ أنّه | متى أجْزِهِ حلماً على الجهلِ يندمِ

***

وإن بذل الإنسانُ لي جودَ عابسٍ | جزيتُ بِجودِ التّارِكِ المُتبسِّمِ

***

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي | المجد للسيف ليس المجد للقلمِ

***

وما كلُّ هاوٍ للجميلِ بفاعلٍ | ولا كلُّ فعّالٍ له بِمُتمِّمِ
فأحسنُ وجهٍ في الورى وجهُ مُحسنٍ | وأيمنُ كفٍّ فيهمُ كفُّ منعمِ
لِمن تطلبُ الدنيا إذا لم ترد بها | سرورَ مُحبٍّ أو إساءةَ مُجرمِ

***

فلمّا صار ودُّ الناس خِبّا | جزيتُ على ابتسامٍ بابتسامِ

وصرتُ أشكُّ فيمَن أصطفيهِ لعلمــي أنّـه بعـضُ الأنــامِ
يُحبُّ العاقلونَ على التصافي وحبُّ الجاهلينَ على الوَسامِ
وآنفُ من أخــي لأبـي وأمّي إذا لَم أجِــدْهُ مــن الكِرامِ
ومَن يَجِدُ الطريقَ إلى المعالي فــلا يــذرُ المَـطيَّ بلا سنامِ
ولَم أرَ في عيوبِ الناسِ شيئـا كنقصِ القادرين على التّمامِ

***

وإذا لَم يكن من الموتِ بـدٌّ فمِـنَ العجــزِ أن تَموتَ جبانا
كُلُّ ما لَم يكن مـن الصَّعبِ في الأنفسِ سهلٌ فيها إذا هو كانا

***

الحـبُّ ما منَعَ الكلامَ الألسُنا وألـذُّ شكـوى عـاشقٍ ما أعلنا

***

وما الخوفُ إلا ما تَخوَّفهُ الفتى ولا الأمــنُ إلا مــا رآه الفتى أمنا

***

الرأيُ قبلَ شَجاعةِ الشجعانِ هــو أولٌ وهــي المَحلُّ الثاني
فإذا هما اجتمعـا لنفـسٍ مُـرَّةٍ بلَغَتْ مـن العليـــاءِ كلَّ مكانِ
ولَربَّمــا طعنَ الفتـى أقرانَهُ بالرأي قبـــل تطاعُنِ الأقــرانِ
لولا العقولُ لكان أدنَى ضيغمٍ أدنى إلى شـرفٍ مـن الإنسانِ
ولما تفاضلت النفوسُ ودبّرتْ أيدي الكُمــاةِ عوالِيَ المُـرّانِ

***

أفاضلُ الناسِ أغراضٌ لذا الزّمنِ يَخلو من الهمّ أخلاهم من الفِطنِ

***

إذا قدِمْتُ على الأهــوالِ شيَّعَني قلبٌ إذا شِئتُ أن يسلاكُمُ خانا
أبدو فيسجدُ مَن بالسـوءِ يذكُرني ولا أعـاتبــه صفحا وإهوانا
وهكذا كنتُ في أهلي وفي وطني إن النّفيـسَ غريبٌ حيـثما كانا

***

ومِمّا أضرّ بأهل العشــقِ أنَّهمُ هَووا وما عرفوا الدنيا ولا فطنوا

***

ما كُلُّ ما يتمــنّى المرءُ يــدركُهُ　　تجري الرياحُ بِما لا تشتهي السُّفُنُ

***

إذا كنتَ ترضى أن تعيشَ بذلّةٍ　　فـلا تستَعِدَّنَّ الحُسامَ اليمانيا
ولا تستطيلنَّ الرِّمـــاحَ لِغارةٍ　　ولا تستجيدَنَّ العِتاقَ المَذاكيا

***

كفى بكَ داءً أن ترى الموتَ شافيا　　وحسبُ المنـــايا أن يكــنَّ أمانيـا
تَمنَّيتَـــهـــا لَمّـا تَمنَّيتَ أن ترى　　صديقا فأعيا أو عـــدوّا مُداجِيـا
إذا الجودُ لَم يرزقْ خلاصا من الأذى　　فلا الحمدُ مكسوبا ولا المالُ باقيـا
ولِلنفـسِ أخـلاقٌ تدلُّ على الفتَى　　أكانَ سخاءً مـا أتـــى أم تســاخيـا
أقِـلِّ اشتيـاقـا أيّهـا القلبُ رُبّمـا　　رأيتُكَ تُصفي الودَّ من ليس جازيا
خُلِقْتُ ألوفـا لو رَجَعْتُ إلى الصّبا　　لَغادَرْتُ شَيْبِي مُوجَعَ القَلْبِ باكِيـا
أُريكَ الرِّضا لو أخْفَتِ النَّفسُ خافيا　　وما أنا عن نفسي ولا عنكَ راضيـا
تظُنُّ ابتســامـــاتي رجـاءً وغِبطَةً　　وما أنـا إلا ضاحكٌ من رجــائيـــا
وتُعجِبُنِي رِجلاكَ في النعلِ إنّني　　رأيتُكَ ذا نـعـلٍ إذا كنتَ حـافـيـا
وإنّكَ لا تـــدري ألونُكَ أسـودٌ　　من الجَهلِ أم قد صارَ أبيضَ صافيا
ولولا فضول الناسِ جِئْتُكَ مادحا　　بِما كنتُ في سرّي به لكَ هاجـيـا
ومثلُكَ يُؤتـــى مـن بـلادٍ بعيدةٍ　　ليُضحِكَ ربّاتِ الحدادِ البواكيـا
فما ينفع الأُسْدَ الحيـاءُ من الطّوى　　ولا تُتَّقى حتّى تكـون ضـــواريـا
فإن دمـــوعَ العيْن غــدُرٌ بربِّهـــا　　إذا كُنّ إثْـر الغادرين جـــواريـــا

***

حكم المتنبي التي جرت مجرى الأمثال

المتنبي شاعر حكيم، كما هو ظاهر من أشعاره، وقد جرت كثيرة من أقواله الحكيمة مجري الأمثال؛ لما تحمل في طياتها من تجارب سديدة، وخبرات عميقة، وآراء صائبة، ومنها:

• إذا عظم المطلوب قلّ المساعد.	• إذا عنَّ بحرٌ لم يجز لي التيمم.
• إن القليل من الحبيب كثير.	• إن المعارف في أهل النهى ذمم.
• إن النفيس غريب حيث ما كان.	• أنا الغريق فما خوفي من البلل.

• إنا لنغفل والأيام في الطلب.	• بجبهة العير يُفدى حافر الفرس.
• على قدر أهل العظم تأتي العظائم.	• فإن الرفق بالجاني عتاب.
• فمن الرديف وقد ركبت غضنفرا.	• في طلعة الشمس ما يُغنيك عن زُحلِ.
• كل ما يمنح الشريفُ شريفُ.	• لكل امرئ من دهره ما تعودا.
• ليس التكحُّل في العينينِ كالكحلِ.	• مصائب قوم عند قوم فوائد.
• وأدنى الشرك في النسب جوار.	• والبر أوسع والدنيا لمن غلبا.
• والجوع يرضي الأسودَ بالجيفِ.	• والشيب أوقر والشبيبة أنزقُ.
• والمستغِرّ بما لديه الأحمقُ.	• وبضدها تتبين الأشياء.
• وتأبى الطباع على الناقل.	• وخير جليس في الزمان كتاب.
• وربما صحت الأجسام بالعلل.	• وفي التجارب بعد الغي ما يزعُ.
• وفي الماضي لمن بقي اعتبار.	• وفي عنق الحسناء يُستحسن العقد.
• ولا رأي في الحب للعاقل.	• ولا يرد عليك الفائتَ الحزَنُ.
• ولكن صدم الشر بالشر أحزم.	• ولكن طبع النفس للنفس قائد.
• وللسيوف كما للناس آجال.	• وليس كلُّ ذوات المخلب السَّبُعُ.
• وليس يأكل إلا الميتَ الضبعُ.	• وما خير الحياة بلا سرور.
• ومخطئ من رميّه القمر.	• ومن فرح النفس ما يقتل.
• ومن قصد البحر استقل السواقيا.	• ومن لك بالحرِّ الذي يَحفظُ اليدا
• ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا.	• ومن يسدّ طريقَ العارضِ الهطِلِ.
• ومنفعة الغوث قبل العتب.	• ويبينُ عتقُ الخيلِ في أصواتِها.

هذا، وفي الختام نقول: لم يبالغ من قال: إن المتنبي أعظم شعراء العربية، ولولا مخافة المبالغة لقلنا: هو أعظم شعراء الدنيا على الإطلاق.

والله تعالى أعلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

***

من أخبار الجامعة السلفية

دورة تدريب معلمي اللغة العربية:

تعقد الجامعة السلفية بنارس -بمشيئة الله تعالى- دورة تدريب معلمي اللغة العربية في الفترة ٢٥-٣٠/شوال المكرم ١٤٣٢هـ = ٢٤-٢٩/سبتمبر ٢٠١١م يشارك فيها مدرسو المدارس التابعة للجامعة إلى جانب مدرسي الجامعات والمعاهد الأخرى، ويتولى عمل التدريب والتربية في هذه الدورة مجموعة من الأساتذة العرب المتخصصين في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وعلى رأسهم فضيلة الدكتور عبد الرحمن الفوزان -حفظه الله- من معهد اللغة العربية بجامعة الملك سعود بالرياض.

حفل دعوي عام:

تعقد الجامعة السلفية بنارس -بمشيئة الله تعالى- حفلا دعويا بعد صلاة العشاء في ليلة الأحد ٢٦/شوال المكرم ١٤٣٢هـ = ٢٤/سبتمبر ٢٠١١م وقد تم توجيه الدعوة لإلقاء المحاضرة في هذا الحفل إلى كل من فضيلة الشيخ أصغر علي إمام مهدي، أمين عام جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند، وفضيلة الشيخ ظفر الحسن المدني، الداعية بوزارة الأوقاف بالإمارات العربية المتحدة، وفضيلة الشيخ محمد مقيم الفيضي نائب الأمين العام السابق لجمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند، وفضيلة الشيخ رضاء الله عبد الكريم المدني، المدرس بمدرسة السيد نذير حسين الدهلوي بدهلي، ويقوم برئاسة هذا الحفل فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبيد الله الرحماني المباركفوري حفظه الله.

اجتماع المجلس الإداري للجامعة:

في يوم الأحد ٢٦/شوال المكرم ١٤٣٢هـ = ٢٥/سبتمبر ٢٠١١م يعقد المجلس الإداري للجامعة اجتماعه السنوي في الساعة العاشرة صباحا في قاعة الاجتماعات بالجامعة، إن شاء الله تعالى. وسيناقش المجلس عددا من الموضوعات، منها: تنفيذ قرارات الاجتماع السابق، وميزانية الجامعة للفترة المالية القادمة، وحسابات الموارد والمصارف، وتقريرات مختلف الإدارات والأقسام، والمشاريع المستقبلية الخ وسيشارك في هذا الاجتماع أعضاء مجلس الجامعة والمندوبون من مختلف مناطق البلاد، بإذن الله تعالى.

***